

جهود العثمانيين في توفير المياه في الحجاز (٩٢٣ - ١٢١٨ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠٣ م). د. عزة بنت عبد الرحيم شاهين*

اتبع العثمانيون نهج من سبقهم في العناية بتوفير المياه لمكة المكرمة و المشاعر المقدسة خلال الفترة الطويلة لحكمهم لمنطقة الحجاز - باستثناء الفترة الأخيرة لحكمهم، وهي تلك الفترة التي عانت فيها الدولة من الضعف و الوهن - فقامت هذه الدولة بخدمات جلييلة في توفير المياه لمكة المكرمة متعاونة مع أهالي الخير في استمرار هذه الخدمة الجلييلة . التي بفضلها عمّ الفضل على عامة المسلمين.

وتبدأ الفترة موضوع الدراسة من عام ٩٢٣ - ١٢١٨ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠٣ م وهي السنة التي ظهرت فيها حاجة الدولة إلى قبول العون من الجهات الإسلامية المختلفة في سائر الأقاليم الإسلامية . ولعل من أهم هذه الجهات التي قامت بدور نشط في العناية بمرافق المياه في مكة المكرمة و المشاعر المقدسة هو من أطلق عليه اسم "لجنة عين زبيدة" - والتي سوف نتحدث عنها بشيء من التفصيل عن كيفية تكوينها، ونظام العمل فيها ووسائلها في تدبير الأموال لتحقيق أهدافها - وذلك بعد عرض جهود العثمانيين في العناية بمرافق المياه بمكة المكرمة و مشاعرها المقدسة

ومن ثم يتضح اهتمام العثمانيين في العناية بأمر توفير المياه بمكة المكرمة و المشاعر المقدسة ، في صور مختلفة كصيانة وتجديد وإنشاء الآبار و العيون، وقنواتها و البرك و الأسبله و الحمامات و المطاهر (المباضات) و السدود و مجاري تصريف المياه، فضلاً عن العناية بالمنشآت المائية المتعلقة بخدمة الزراعة.

ويوضح العرض التالي مدى العناية بكل عنصر من هذه العناصر كالتالي:

1- الآبار :

كانت تغذي مكة المكرمة و المشاعر المقدسة قبيل الإسلام مجموعة آبار إلى جانب بئر زمزم منها: بئر كرادم، العجول، خم، بدر، شفيه، السنبله، أم حردان، زمزم، العمز، السيرة، الروا ، ميمون ، السقيا ، الثريا ، النقع ، سجله ، طوي ، الجفر ،

أم عجلان ، العلوقة ، الطوي ، حويطب ، خالصة ، زهير^١

* المملكة العربية السعودية - جامعة الملك عبد العزيز - كلية التربية للبنات بجدة.

وقد اهتم المسلمون بهذه الآبار في مكة وما حولها لخدمة سكان بلد الله الحرام والحجاج ، وإنشاء وتجديداً وصيانة ، ولعل في مقدمة الآبار التي اعتنوا بها

بئر زمزم :

نظرا للعلاقة بين نشأة مدينة مكة المكرمة وظهور ماء زمزم الذي جذب الناس للاستيطان حوله^(١) لكن لما استخفت قبيلة "جرهم" بحرمة البيت العتيق ، حُبس ماء زمزم وطمرت موضع البئر لعدة قرون ، نتيجة لتأثير بعض عوامل الطبيعة كالسيول وغيرها عبر العصور . حتى حفرها عبدالمطلب جد الرسول و صيّرها سقاية للحجيج ، ولا تزال كذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً^(٢). ولما جاء الإسلام ، اهتم المسلمون بأمر بئر زمزم ، وخاصة بعد أن أقر الرسول صلى لعمه العباس على سقاية الناس والحاج منها^(٣). وذلك بالاهتمام بتنظيفها ، وإنشاء بناء عليها ، يمكن عن طريقه تسهيل الحصول على الماء فضلاً عن تهيئة المكان الملائم لجلوس المشرف عليها ، والعمل على زيادة

(١) الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن محمد ، (من علماء القرن الثالث الهجري)، أخبار مكة وماء جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، جزءان، الطبعة الرابعة، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة ج٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢١٤-٢٢٤، الفاكهي : أبو عبدالله محمد بن إسحاق (من علماء القرن الثالث الهجري) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. ج٤، ط١، دراسة وتحقيق عبدالمالك بن عبدالله بن دهب، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٩٦-١١٤. كما أشار إلى بعض هذه الآبار الفاس، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٣٤٠-٣٤٦، وسليمان عبدالغني المالكي مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج والأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية، الرياض ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ١٤٠٨-١٩٨٧م، ص ١٣٠-١٣٢.

(٢) كان انبثاق ماء زمزم، لاسماعيل وأمه عليهما بداية نشأة مدينة مكة المكرمة. فقد جاء ابراهيم عليه السلام، وهو مأمور من ربه، بزوجه وابنه اسماعيل الطفل الرضيع، ووضعهما عند البيت بمكة، التي كانت خالية من الماء والأنيس، وعندما غاب ابراهيم عن أنظارهما توجه إلى ربه بالدعاء "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا" (آية "٣٧" سورة ابراهيم)، لزمزم أسماء كثيرة منها طيبة وبره ومضنونه وميمونه. انظر أبو الوليد الأزرقى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٣) حسين عبدالله باسلامة، تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام ابراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، ط٣، مكتبة تهامة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢١٥، أبو الوليد الأزرقى، المصدر السابق ، ج٢، ص٤١-٤٦ و يحيى حسين كوشك، زمزم طعام و طعم و شفاء سقم، ط١، دار العلم ، جدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٨.

٤ الأزرقى ،المصدر السابق ج١، ص٢٧٦ ويحيى كوشك المرجع السابق ص٢٢.

حفرها وتعميقها^٥ ، ثم جاء دور العثمانيين حيث أظهر السلطان القانوني (١٥٢٠/١٥٦٦م) اهتماماً كبيراً بهذا البئر نظراً لمكانتها في قلوب المسلمين عامة والحجيج خاصة ، فقد تم في سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م تبييض جدران مبنى البئر من الداخل و الخارج ، كما عمل لدائرها طراز كتابي مذهّب جاء فيه اسم "السلطان الملك المظفر سليمان نخبه آل عثمان"^٦ وفي سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م جدد بئر زمزم ، وكان هذا التجديد على يد الأمير خشقدي فرخمت أرضه ، وجعل عليه سقف فوقه مظله مسقوفة بالخشب المزخرف عليه جملون في وسطه قبة مصفحة من الرصاص .وقد وصفه أحد المؤرخين آنذاك بقوله: "بئر زمزم من عند الماء أسفل إلى فوق بالحجر المبلط بالنوره المحكمة و الجبس ، ومن الأرض من محل البنيان إلى المحل الذي يقوم عليه الجابد رخام قائم وفي أعلى هذا البنيان دائر من رصاص أيضاً ومنه إلى الأرض أعمدة لطيفه من رصاص لحفظ الرخام لصغره من السقوط في البئر ثم من محل وقوف الجابد إلى نصف قامته أعمدة لطيفه من نحاس بين كل واحد وآخر فتحة نحو ذراع بطوق دائر عليها من فوق مسبوك فيه رصاص وهذا البناء من عمل الوالي الأجلّ خشقدي في زمن السلطان سليمان ، وذلك في أواسط سنة ٩٤٨هـ-١٥٤١م"^٨

^٥ الفاكهي ، المصدر السابق ، ج٢، ص ٦٦-٧٠.

^٦ الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الانصاري ، من أهل القرن العاشر الهجري،الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى، أعده للنشر، حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠٣، الطراز:يعني الشريط الكتابي سواء على الاقمشة أو الروق أو العماير واستعمل أيضا فيما بعد للدلالة على نوع الفنون الاسلامية في البلاد كما أطلق على دور صناعة النسيج .انظر : عادل محمد نور عبدالله غباش المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني ،جامعة أم القرى ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ١٤١٠هـ(رسالة دكتوراه)ص١٢٥.

^٧ رفعت: اللواء إبراهيم رفعت باشا،مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية،جزء١، مطابع دار البلاد، جدة،(د.ت) ج ١، ص٢٥٧،حسين باسلامة،مصدرسابق،ص١٨٠،يحیی حمزة كوشك ، زمزم طعام طعم وشفاء سقم،ط١،دار العلم،جدة،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٠، فوزية حسين مطر ،تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى العثماني ،رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي ،جامعة أم القرى ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ،ص٢٨٧.

^٨ يحيى حمزة كوشك ،المرجع السابق ،ص٤٠،وحسين باسلامة المرجع السابق ،ص٢٥٧،وفوزية حسين مطر :المرجع السابق ،ص٢٨٨.

كذلك اهتم السلطان مراد خان بن سليمان القانوني أثناء اتمامه لعمارة المسجد الحرام ٩٨٥هـ/١٥٧٧م بإصلاح مبنى بئر زمزم^٩. وفي عهد السلطان أحمد خان الأول سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م. صدر أمره السلطاني إلى حسن باشا المعمار^{١٠} بعمل شبك من نحاس على بئر زمزم ليحول دون تلوثها و سقوط الناس فيها ، ثم ربط الشبك بسلاسل حديدية^{١١}. إلا أن هذا الشبك قد حُلَّ بعد سنتين من تركيبه أي سنة ١٠٢٧هـ/١٦١٧م، على يد الأفندي محمد بن مصطفى القناوي ، حينما قيل له أن ماء زمزم تغير طعمه وأصابه الصداً في بعض أجزاء الشبك ، وأن الدلو إذا وقع ربماحال الشبك دون صعوده إلى الأعلى^{١٢} وفي رمضان سنة ١٠٢٨هـ/١٦١٨، وقع في بئر زمزم أحجار كثيرة من الجهة الشمالية والغربية ، مما فوق الماء و تحته ، وتغير طعم زمزم . بشكل لفت أنظار المسلمين ، وأصبح غير مستساغ الشرب نظراً لزيادة ملوحته ، فتصدى لإصلاح هذا الأمر شيخ الحرم المكي الأغا حسين الحبش. وذلك بعد أن عرض الأمر على أمير مكة الشريف إدريس بن الحسين فحضر شيخ الحرم يوم الاثنين الرابع من شهر شوال وأمير البلد و المهندسون وبدئ في عمارتها خلال نهار ذلك اليوم وتم الانتهاء من هذا الأمر في يوم السادس عشر من شهر شوال لنفس العام^{١٣} .

ولعله من الضروري الإشارة إلى ما أحدثته السيول والتي كانت تتوالى على المسجد الحرام والتي بلغت في أحيان كثيرة إلى مستوى باب الكعبة ، مما جعلها تندفع محملة بالطين إلى بئر زمزم فتسد الفتحات التي تتدفق منها المياه إلى هذه البئر ، بالإضافة إلى ما كان يصاحب تلك المياه من بعض ذرات الرمال ، عبر الفتحات المغذّية للبئر^{١٤} من آثار مدمّرة على بئر زمزم فساعدت السيول مع الطين على ردم البئر ، مما أوجب تنظيفه من وقت لآخر ففي سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م قل ماء زمزم في شهري ذي القعدة وذي الحجة بشكل كبير حتى أصبح لا يخرج من الدلو إلا الطين ، فتم إنزال بعض العمال لحفر البئر عدة مرات ونظراً لقلّة مائها في بعض الأحيان و خاصة في موسم حج

^٩أيوب صبري: مرآت الحرمين - مرآت مكة، مجلد ١-٤، مجلد ٥-٧، ١٩٨٤م ج٥، ص٧٥، ٩٨٣-٩٨٧.

^{١٠}حسن باشا المعمار قدم من استنبول سنة ١٠٣٣هـ لعمارة قناة عين عرفة و عين حنين
^{١١}العصامي : عبد الملك حسين بن عبد الملك العصامي (ت ١١١١هـ)، سبط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، أربعة أجزاء، المطبعة السلفية ومكتبتها(د.ت) ، ج٤، ص٣٩٨، والطبري: أبي جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، ج٢ ورقة ١١.

^{١٢}العصامي : المصدر السابق ج٤، ص٤٠٠، محمد طاهر بن عبد القادر بن محمد الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام، ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج٣، ص٨٢
^{١٣}الكردي : المرجع السابق: ج٣، ص ٩٨-٩٩.
^{١٤}أيوب صبري، مرجع سابق، ج٥-٧ ص ٩٨٣.

تلك السنة كانت تغلق ليلاً ويُزال ما بها من طين وغيره ، ثم تغلق لفترات متباعدة كي يتجمع بها بعض الماء ، ومع ذلك لم ترجع البئر إلى حالتها الطبيعية إلا بعد شهر محرم من عام ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م^{١٥}.

وفي سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦١م عُمرت بئر زمزم كما عُمّر البناء الذي عليها فيما عدا الجهة القبلية (الغربية) وأدير باب المصعد إلى قبتها نحو الجهة الجنوبية على يد سنجق جده سليمان بك ونشد لذلك قاضي مكة بأبيات بالتركية آخرها بيت باللغة العربية هو :

قلت تاريخه بلفظ حل * قد بنى الزمزم محمد خان

وهي أبيات من عشرة أبيات محفورة في حجر على باب زمزم . . وكانت موجودة إلى زمن العصامي المتوفي سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م^{١٦}.

وفي سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م، عُمّر إبراهيم بك سنجق جدة ، بأمر الدولة العثمانية بئر زمزم ، بعد أن عرض عليها ذلك . وذلك بعمل طبقة من البلاط على مبنى البئر من الداخل و الخارج ، إضافة إلى تغيير الرفوف الخارجية عن البئر مما يلي مقام الحنبلي ، وتجديد أخشابها وتغطيتها بألواح الرصاص ثم زُينت بالدهانات^{١٧} كما تم تنقيط (تلييس) جدران البئر بعد ذلك في عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م وُجِدَّ طبطاب أرض ميناه (بفرد الجص على أرضه) وذلك بدك المنطقة المراد عمل الطبطاب فيها بطول (٩,٥) ذراعاً وارتفاع ربع و عرض (٩) أذرع ، ثم عمل بها الطبطاب^{١٨}

وفي عام ١١٣٢هـ/١٧١٩م خصص أحد أهالي مصر بعض الأحجار المبسوطة أمام مبنى زمزم بالنورة^{١٩}.

وقد ذكر بعض المؤرخين إلى أنه حدث في عهد السلطان عبدالحميد الأول عام ١٢٠١هـ/١٧٨٦م بعض الإصلاحات في مبنى بئر زمزم ، و دليلهم على ذلك وجود بعض النقوش الكتابية على مبنى البئر عليها اسم السلطان عبدالحميد سنة ١٢٠١^{٢٠}. ولكن لم يقم أحد منهم بتصوير هذه النقوش أو عرض نصوصها بدقة كما هو واقعها . وفي عام

١٥ محمد طاهر الكردي، مرجع سابق ج٣ ص ٩٨-٩٩ ، ويحيى كوشك، مرجع سابق ص ٤٠.

١٦ العصامي، مصدر سابق، ج٤، ص ٤٧٠.

١٧ الطبري: مصدر سابق ج٢، ورقة ١٢٠-١٢٢، يحيى كوشك: مرجع سابق، ص ٤٠.

١٨ وثيقة رقم ٦١٧٦ (NAD) بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستنبول

١٩ الطبري: مصدر سابق ج٣ ورقة ٤٢.

٢٠ حسين باسلامة: مرجع سابق ص ١٨٥، ومحمد طاهر الكردي: مرجع سابق: ج٣ ص ٨١-٨٢ و

فوزية مطر : مرجع سابق ص ٢٨٩، ٣٨٨، ٢٥٠، ٢٤٦.

١٢٧٨هـ/١٨٦١م دخل المسجد الحرام سيل عظيم ملأ بئر زمزم بمائه^{٢١} مما حتم بذل جهود كبيرة لتنظيفه مما حمله السيل معه من طين وأوساخ . وفي عهد السلطان عبدالعزيز خان سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م قام أمير مكة والحاج عزت باشا بتجديد شبابيك مبنى بئر زمزم ، وفرش أرضها بالرخام ، وإصلاح فوهة البئر والدرابزين الذي عليه ، وقد بدأت هذه الأعمال في شهر شعبان من العام المذكور^{٢٢} .

وفي الفترة من سنة (١٢٩٥/١٢٩٧هـ-١٨٧٨-١٨٧٩م) تم إصلاح القناة التي كانت تنقل ماء زمزم إلى خارج المسجد الحرام ، على يد الحاج عبدالرحمن سراج ميمني الشهير بوحدها. ثم عمل لها مكاناً تتجمع فيه هذه المياه لسقيا الناس، وقد أنجز هذا العمل في مدة تتراوح ما بين مائتين إلى ثلاثمائة عام^{٢٣}).

وفي عصر السلطان عبدالحميد الثاني أعيد بناء مبنى بئر زمزم والقبه التي فوقه بعد انهيارها سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م على يد أحمد أفندي مدير شؤون المسجد الحرام

في ذلك الوقت^{٢٤} وفي سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م ، جُدد طلاء نقوش مبنى بئر زمزم^{٢٥} بعد أن رفع رئيس الأركان الحربية المهندس صادق بك ملاحظات عنها إلى دار الخلافة^{٢٦} .

وفي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. تم تنظيف البئر على إثر إلقاء أحد الهنود بنفسه فيها ، اعتقاداً منه بحصول البركة ، مما استوجب استدعاء الغواصين من جدة و لم يتم إخراج

^{٢١} فوزية مطر :مرجع سابق ،ص ٢٥٦

^{٢٢} يحيى كوشك :مرجع سابق ، ص ٤٠

^{٢٣} أيوب صبري :مرجع سابق ،ج ٥-٧ ص ٧٤٨-٧٤٩

^{٢٤} المرجع السابق :ص ٩٨٣-٧٤٩، يلاحظ أن فوزية مطر أشارت الى ان السلطان عبدالحميد الثاني قام في الفترة من (١٢٩٣-١٣٢٧هـ) باصلاحات في مبنى بئر زمزم واعتمدت في ذلك على قراءة نقش كتابي ورد فيه ذكر السلطان عبدالحميد وبالرجوع إلى قراءة بعض المؤرخين لهذا النقش لم أجد احدا منهم قال بانه يؤرخ لعمارة السلطان عبدالحميد الثاني لمبنى زمزم وانما قد اوضحوا انه هو عبدالحميد فقط ولا يوجد على النقش أي تاريخ او اشارة تدل على ان اسم السلطان الوارد به عبدالحميد الثاني ومن المرجح انه عبدالحميد الاول الذي قام بإصلاح مبنى زمزم سنة ١٢٠١هـ وعلى ذلك لا ينبغي الاعتماد على هذا النقش في تاريخ اعمال السلطان عبدالحميد الثاني لمبنى زمزم ،انظر فوزية مطر ،مرجع سابق ص ص ٢٥٨-٢٥٩ و ص ٢٨٩ وإبراهيم رفعت المصدر السابق ج ٢، ص ٢٥٧، وحسين باسلامة ،مرجع سابق ص ١٨٤ او الكردي ،مرجع سابق ج ٣، ص ص ٨١-٨٢.

^{٢٥} محمد غباش ، مرجع سابق ص ١٣١

^{٢٦} وثيقة رقم ١٣/٢-ك-١٣ بأرشفيف دارة الملك عبدالعزيز ،الرياض

جثته إلا بعد وقت ليس قصيراً^{٢٧} ، وحتى لا يتكرر ذلك الحادث اهتمت الدولة العثمانية بعمل شبك من حديد وضع فوق البئر سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م^{٢٨}.

أهمية بئر زمزم لسكان مكة بصفة خاصة والحجيج بصفة عامة :

لبئر زمزم أهمية كبيرة بالنسبة لسكان مكة بصفة خاصة والحجيج بصفة عامة حيث يقول أحد المؤرخين في هذا الخصوص "إن أهل مكة في هذه الأزمان كانوا يلاقون شدة شديدة في بعض أشهر السنة لانقطاع العين عن مكة المكرمة ، فطالما شاهدت الحرائر المخدرات يخرجن بالليل ، وعلى كتف كل واحدة دورق لحمل الماء فيه إن حصل، وطالما رأيت الصغار في البيوت يبكون من العطش ، وانتق لي في العام الماضي أنني كنت ليلة بعد صلاة العشاء بالمسجد الحرام ، وكان الماء إذ ذاك منقطعاً عن البلد لضعف العين ، فرأيت النساء والصغار على باب بئر زمزم بقصد الاستسقاء ، وقد أغلقت ، فحصلت لي حالة عظيمة من التعب والمشقة عليهم ، فصحت لبواب البئر، وقلت له حرامٌ عليك غلقها . فإن استمررت على ذلك أفقتت بفسقك ، وكان إلى جانبي جماعة من أهل مكة فأقاموا الضجيج عليه ففتحها ، فدخل الناس واستقلوا منها"®^{٢٩}

كما أشار بورخارت Burckardt الذي زار مكة سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٤م إلى أن بئر زمزم كانت في عصره من أهم مصادر إمداد مكة بالماء.

كيفية دخول الناس لبئر زمزم :

كانت هناك محاولات تنظيم لدخول الناس لبئر زمزم . ومنعهم في بعض الأوقات ، وذلك لأنه لوحظ أن الناس كانوا يدخلون إلى بئر زمزم وقت الصلاة ويشغلون الإمام والمصلين ، خصوصاً أيام الحج بسبب ازدحامهم . ورفع أصواتهم أثناء تشاجرهم ، إضافة إلى أن الكلاب والقطط كانت تدخلها ليلاً فتغرق في البئر ، وكتب الشيخ عبدالسلام عن ذلك كله لخليفة المسلمين في ذلك الوقت (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)

^{٢٧} البنتوني: محمد لبيب، الرحلة الحجازية(١٣٢٧هـ)، الطبعة الثانية، تحقيق الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١٠١-١٢٨

^{٢٨} حسين باسلامة: مرجع سابق /ص ١٨١-١٨٣ . وفي المرحلة الثانية من مشروع توسعة الحرم المكي ،التي بدأت في جمادى الثانية عام ١٣٨١هـ إلى عام ١٣٨٨هـ .تم توسيع المطاف بهدم البناء العثماني الذي كان فوق بئر زمزم و تخفيض فوهة البئر أسفل المطاف انظر: يحيى كوشك ،مرجع سابق ،ص ٤٠-٤٦.

^{٢٩} الطبري: مصدر سابق ورقة ٤٠-٤٦

^{٣٠} جمال زكريا قاسم: الدوافع السياسية لرحلات الاوروبيين الى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر و اوائل القرن العشرين . بحث منشور بكتاب تاريخ الجزيرة العربية ،ج٢، ط١، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ١٥

يطلب منه عمل باب لمبنى البئر حتى يتمكن المسئولون من إغلاقها ليلاً وأوقات الصلاة فأجابه الخليفة لطلبه وكانت هذه هي المحاولة الأولى لتنظيم الدخول لبئر زمزم^{٣١}

أما المحاولة الثانية. فكانت على يد أحفاد الشيخ عبدالسلام بن أبي بكر الزمزمي والذي طلب من الخليفة العباسي المعتضد بالله (٨١٧-٨٤٥هـ/١٤١٤-١٤٤١م) أن يمكنه من عمل ضبّة ومفتاح لباب بئر زمزم. كي يستطيع إغلاق بابها في أوقات الصلاة وفي الليل وأن يكون المفتاح بيده فأجابه لطلبه ، وأصدر مرسوماً مؤرخاً في العشرين من شهر شوال سنة (٨٢٠هـ) ، ولقب من يتولى الإشراف على أمر زمزم فيما بعد "بال ريس"^{٣٢} ولم تقتصر وظيفة الإشراف على تنظيم دخول الناس بئر زمزم وخدمتهم^{٣٣}. وعلى فتح باب المبنى وإغلاقه. بل نجد أنه في بداية القرن الرابع عشر الهجري إشارة إلى وجود موظفين مهمتهم منع الأعراب من الضجيج داخل المبنى وتوسيقه^{٣٤} ومن المرجح أن تنظيم الدخول إلى بئر زمزم يعتبر ضمن أعمال المحتسب الذي كان أساس عمله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^{٣٥}. إلا أن المحتسب لم يكن يقوم قبل عام ١٣١١هـ/١٧٩٦م بتنظيم الأمر وإن كنت أرجح أن عملية التنظيم والإشراف ومنع الأعراب من الضجيج وتوسيق هذا المكان لم تظهر إلا بعد التاريخ المشار إليه والدليل على ذلك ما يأتي :

حج ابن عبدالسلام الدرعي صاحب الرحلة الكبرى والرحلة الصغرى سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م وسنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م^{٣٦}، واستاء مما شاهده في ذلك الوقت داخل مبنى بئر زمزم فقال: "تراهم أي (المغتسلين) يغتسلون بمآزرهم يعطي مريد الغسل للساقيين وهم واقفون على التتور .. فيصبون عليه دلواً أو دلوين أو ما أراد على حسب عطائه حتى يشفى غليله ، وهم على ذلك لا يراعون لها حرمة، فينشاجرون على الماء، ويأخذ أحدهم الدلو فيصبه على نفسه بثيابه حتى وقعوا في تلويث المكان

^{٣١} محمد أحمد الصباغ المكي: ت: ١٣٢١هـ، تحصيل المرام في اخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام . مخطوطة، رقم ٣٤٥٧، مكتبة الحرم المكي الشريف، ورقة ٦٨-٦٩، وانظر طاهر الكردي: مرجع سابق: ج٣، ص٧٨.

^{٣٢} محمد بن علي احمد المكي: مصدر سابق ورقة ٦٨-٦٩.

^{٣٣} على الرغم من المبرر الذي وجدت لاجله وظيفة الإشراف على بئر زمزم الا ان اغلاق البئر ليلا لم يكن من التصرفات التي ترضي العلماء كما لاحظنا حينما هدد الشيخ علي الطبري المتوفي عام ١٠٧٠هـ بواب البئر بالفتوى بفسقه اذا لم يفتح بابها (سبق شرح ذلك)

^{٣٤} محمد لبيب البنتوني: مصدر سابق ص ص ١٢٧-١٢٨

^{٣٥} عبدالرحمن بن نصر الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبه وتحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، دار الثقافة - بيروت (د.ت) ص٦

^{٣٦} حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي، ط٢، منشورات دار الرفاعي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٤٢، ٤١.

الشريف^{٣٧} لاسيما وهي في وسط أفضل المساجد. فيجب تنزيه المسجد عن قاذوراتهم ، ولغظهم ، ورفع أصواتهم ، وخصوماتهم . . وبودي لو أتاح الله محتسباً يذيقهم النكال ، فإن حرم الله أولى المواضع بالهيبة ، ولزوم السكنينة^{٣٨}

ثم صور لنا مورخ آخر معاملة موظفي البئر للأعراب الخارجين على النظام عام ١٣٢٧هـ/ ١٩١٩م ، بقوله: " ترى الحجاج من الأعراب يدخلون إلى زمزم نزحوا ما فيه على رؤوسهم . ، فيسيل الماء ، على ثيابهم إلى أن تبتل جميعها . ثم يخرجون فرحين مستبشرين تظلهم عصى خدمة العين (البئر) التي لا تؤثر فيهم بالمرّة دون القيام بهذا الواجب^{٣٩}

وإلى جانب وظيفة الإشراف على باب مبنى بئر زمزم ، ووظيفة تنظيم دخول الناس وسقيهم زمزم بواسطة الدلاء^{٤٠} . وكان للقائمين بهذه الوظائف جميعاً رئيس^{٤١}

وقدر عدد الموظفين الذين كانوا يعملون ببئر زمزم عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م بـ ٢٦ موظفاً منهم ١١ موظفاً لجذب الماء من البئر عن طريق الدلاء ، و ١٥ موظفاً يقومون بالوظائف الأخرى كما وردت إشارة إلى أن هذا العدد من الموظفين كانوا يعملون في سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م^{٤٢} سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م^{٤٣}

خدمات العثمانيين في بقية آبار مكة المكرمة والمشاعر المقدسة :

ظلت الآبار التي أنشئت في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة سواء قبل الإسلام أو في عصور الإسلام المختلفة- تؤدي دورها في العصر العثماني^{٤٤} ، وقد ترتب على ذلك اهتمام العثمانيين بأمر الآبار من إصلاح وتجديد وزيادة تعميق ليكثر ماؤها ، أما حفر آبار جديدة فإن ما توصلت إليه من معلومات في هذا المجال قليلة نسبياً.

^{٣٧} نلاحظ أن ذلك صار منافياً لتوجيهات العباس بن عبدالمطلب الذي كان يقول عن مياه زمزم " لا أكلها لمغتسل وهي لمتوضئ وشارب حل وبل " انظر الأزرقى :مصدر سابق ، ج٢، ص٥٨

^{٣٨} حمد الجاسر : ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعى المغربي ، ط٢ ، منشورات دار الرفاعى ،

المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٣٣

^{٣٩} محمد البتوني :مصدر سابق ، ص ١٠١-١٢٧-١٢٨

^{٤٠} المصدر السابق ، ص١٠١، إبراهيم رفعت ، ج١، ص٢٦٠

^{٤١} أيوب صبري :مرجع سابق ، ج٥-٧، ٩٧٨

^{٤٢} إبراهيم رفعت :مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٩٠

^{٤٣} محمد البتوني :مصدر سابق ص ١٠١

^{٤٤} الطبري :مرجع سابق :ورقة ٤٣

ففي عصر السلطان سليمان القانوني عانى أهل مكة الكثير من قلة مياه الآبار. فقد وُصفت حالة مياه الآبار في سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م بأنها قليلة جداً^{٤٥}، كما وصفت سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م وما بعدها بأن مياه الآبار فيها قد جفّت^{٤٦}، مما دفع السلطان سليمان القانوني إلى توجيه إبراهيم دقتر دار مصر المعين لعمارة عين عرفه سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١م بإخراج ترابها وزيادة حفرها ليكثر ماؤها^{٤٧}، إضافة إلى قيام محمود الخادم المتولي زمام ابنة السلطان سليمان أثناء حجه عام ٩٦٩هـ/١٥٦١م، بالتوجه إلى الزاهر و الشبيكة للكشف عن حالة آبارها ودفع من ماله مبلغاً من المال لإبراهيم دقتر دار مصر للإفناق منه على حفر بئر في طريق المسفله وبئر آخر في الزاهر وزيادة حفر و تنظيف الآبار النازحة^{٤٨}.

وفي سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م حج الوزير سنان باشا وذهب إلى التتيم جهة مسجد عائشة رضي الله عنها ليحرم للعمرة، فشهد ما يعانیه المسلمون من قلة مياه الوضوء في ذلك المكان، وحملهم له من أماكن بعيدة، حيث أنهم لم يتمكنوا من الحصول على الماء من البئر القريبة من مسجد عائشة بسبب انهدامها و اندثارها. مما حفز الوزير على إعادة حفرها و بنائها، بقصد كسب الأجر والثواب عند الله^{٤٩} وفي سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م تم تعميم آبار مكة المشرفة^{٥٠} وحفر مجموعة كبيرة على يد الوزير محمد باشا^{٥١} الذي

^{٤٥}أيوب صبري: مرجع سابق: ج٥-٧، ص٧٣١

^{٤٦}مؤلف مجهول: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٣٤، مخطوط مصور بالميكروفلوم عن المكتبة الأزهرية برقم (١٠٢٤) مركز البحث العلمي و احياء التراث الاسلامي بمكة رقم (٦٧٥)

^{٤٧}العصامي: المرجع السابق ص٨٦، والطبري: المصدر السابق ورقة ٣٧، القطبي: عبد الكريم بن محب الدين (ت ١٠١٤)، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق أحمد محمد جمال وآخرون، الطبعة الأولى، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١١٢.

^{٤٨}الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الانصاري (من أهل القرن العاشر الهجري)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، ثلاثة أجزاء، الطبعة الأولى، أعده للنشر، حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص١٠٦٥

^{٤٩}دحلان: السيد أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ص ص ٣٢٢-٣٢٣، سنان باشا كان والياً على مصر وأنشأ بها جامعا سنة ٩٧٩هـ انظر سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الاثرية ج١ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م ص ٣٠٣

^{٥٠}السيد عبدالله محمد الزواوي: بغية الراغبين وقوة عين اهل البلد الامين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين، ط١ المطبعة الخيرية، ١٣٣٠هـ، ص٢١

ينسب إليه بئر الداووديه^{٥٢}. وفي سنة ١١٢٥هـ/١٦١٦م أمر السلطان أحمد خان الأول بإنشاء وتجديد عمارة مجموعة كبيرة من الآبار بمكة المكرمة^{٥٣} وفي عهد السلطان مصطفى خان الثالث ١١٧١هـ-١١٨٧هـ/١٧٥٧-١٧٧٤م^{٥٤}. تمّ تعميم وتجديد الآبار الواقعة على الطريق بين مكة و المدينة . مما يجعلنا نرجح أن مجموعة الآبار الموجودة الآن بالزاهر قد تم حفر بعضها وتجديد بعضها الآخر في نفس الفترة التي أشار إليها النص حيث أن الزاهر يُعتبر من أحياء مكة وطريقاً يوصلها بالمدينة المنورة .

وعمل السلطان محمود خان الثاني ١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م^{٥٥}، على إعادة بناء ثلاثة آبار لخدمة المعتمرين وسكان بلد الله الحرام ، أولها تعرف ببئر الجعرانه ، والثانية تُعرف ببئر طوى^{٥٦}. و ترجع أهمية بئر طوى إلى اهتمام بعض الحجاج والمعتمرين بالاعتسال منها عند دخول مكة المكرمة ، إقتداءً بفعل النبي - صلى الله عليه وسلم- الذي ورد عنه أنه بات بذي طوي عند دخول مكة المشرفة في العام العاشر للهجرة و اغتسل منها^{٥٧}

وقد أشار إبراهيم رفعت الذي حج سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م إلى ذلك بقوله: "بعد أن ألقينا عصا التسيار بجهة جرو ل غربي مكة واتخذنا منها مقاما محموداً أمنا فيه على

^{٥١}تولي الوزير محمد باشا منصب الوزارة العظمى في عهد السلطان سليم الثاني انظر الحنفي: قطب الدين(ت٩٩٠هـ)، تاريخ القطبي المسمى كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، طبع ونشر، المكتبة العلمية، بمكة المشرفة، ١٨٥٧م. ص ٥٧-٥٩، وينسب للوزير محمد باشا بناء حمام باب العمرة سنة ٩٩٨هـ-١٥٧٤م

^{٥٢}محمد أمين المكي: خلفاء عظام عثمانية حظرتك حرمين شريفكي. اثاره مبرورة ومشكورة، ترجمة: سعد الدين اوانل(الإثارة المبرورة والمشكورة للخلفاء العثمانيين في الحرمين الشريفين، لم تنشر، هما يونلرندي، المطبعة العثمانية ١٣١٨هـ، ورقة ١٥٩

^{٥٣}وثيقة بدفتر مهمة مصر رقم ١، بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ص ٦٢

^{٥٤}محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣٤

^{٥٥}محمد فريد بك المحامي: مرجع سابق ص ٣٩٧-٤٥٤

^{٥٦}محمد المكي: مرجع سابق ص ٣٥-٣٦ وكان يطلق على موقعها قديما وادي طوى وفي الوقت الحاضر جرو ل ومكانها بالتحديد امام مستشفى الولاد

^{٥٧}أحمد بن تيميه: مجمع فتاواه جمع عبدالرحمن النجدي الحنبلي، ج٢ ص ١٢٠، ابن فهد (عبدالعزيز بن عمر بن محمد، ت٩٢٢هـ) بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار ام القرى، مخطوط مصور بالميكروفيلم من مكتبة الحرم المكي، رقم ١ مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي رقم ٧١-٧٢. جامعة ام القرى، ص ٥٧٣

امتعتنا ، همنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم وتحية البيت الحرام ، فاغتسلنا جميعاً من بئر ذي طوى اقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم-^{٥٨} وقد أثر هذا في تصميم البئر من الناحية المعمارية ، بحيث أصبح تصميمها يجمع بين وظيفة إمداد الناس بالماء ، وتهيئة مكان للاغتسال".

أما الثالثة فهي بئر بقرب تربة السيدة ميمونة زوج النبي-صلى الله عليه وسلم- جهة شمال مكة ، وهناك بئر مجاورة عند حدود حرم مكة من الجهة الشمالية الغربية يرجع بناؤها لسنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م وقد أشار إليه إبراهيم رفعت بقوله: "العلمين و منهما يبتدئ الحرم من الجهة الغربية بئر مبنية بالحجر سُمك حائطها ١٠,١م ، وقُطرها أربعة أمتار وعمقها ١٥ متراً و بجوارها مشرب (سبيل) مبني بالحجر بناءً متيناً ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل و يرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٢٦٣هـ^{٥٩}.

وفي سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م^{٦٠} حفر أمير مكة المشرفة الشريف عبدالله باشا بئراً بطريق التنعيم بالقرب من منطقة الشيخ محمود ، كما عمل أيضاً بالقرب منها بئر تُنسب لرجل هندي أنشأها سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م . ولقد أدت مجموعة هذه الآبار دورها في تزويد أهل مكة بالماء إلى جانب مياه العيون الواصلة إليها بواسطة القنوات ، وكان السكان يعتمدون على الآبار وحدها وقت انقطاع مياه العيون مثلما حدث في سنني ٩٦٠هـ/١٥٥٢م و ٩٦٨هـ/١٥٦٠م ، وقد اهتم كثير من المؤرخين بذكر دور الآبار في تزويد سكان مكة بالماء . فذكر أحدهم قائلاً: "وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم ، أو التي في ضواحيها كالزاهر و العسيلان ، والجعرانه، وغيرها من الصهاريج التي تملأ من مياه المطر أو ماء الينابيع أو من عين زبيدة"^{٦١}.

بينما ذكر مؤرخ آخر الدور الكبير الذي قامت به هذه الآبار سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م بعد أن دمر السيل ، الذي وقع في ذلك العام ، قنوات مياه العيون مما جعل الناس يعتمدون كلية على مياه الآبار^{٦٢} . و لم تتوقف جهود العثمانيين فقط عند الآبار بل امتدت لتشمل العناية بالعيون و قنواتها .

العناية بالعيون و قنواتها :

^{٥٨} إبراهيم رفعت :مصدر سابق ج١ ص ٣٠

^{٥٩} إبراهيم رفعت :مصدر سابق ص ٢٨

^{٦٠} محمد المكي :مصدر سابق ورقة ١٦٠ عرف عن أمير مكة الشريف عبدالله باشا بسعة اطلاعه وعلمه

و حبه للعلم .انظر :السيد أحمد زيني دحلان :مصدر سابق ص ٣٢١

^{٦١} محمد البنتوني ،مصدر سابق ،ص ٦٤. زار مكة سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م

^{٦٢} إبراهيم رفعت :المصدر السابق ج١ ص ٢٢٣

تتميز عناية العثمانيين في جلب مياه العيون إلى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، في أساليبهم التي اتبعوها لصيانة وترميم العيون القديمة ، وإنشاء عيون جديدة ، والعمل على صيانة وترميم وإنشاء وتنظيف قنوات المياه الناقلة لمياه هذه العيون .

وحتى يمكننا أن نتعرف على تلك الجهود . أرى أنه من الأفضل عرضها منذ بداية العصر العثماني وحتى نهايته في منطقة الحجاز، وذلك لأن هذا العصر يرتبط بأهمية عظيمة وحادثه هامة في التاريخ . وهو تعزيز مياه عين حنين الواصلة إلى مكة بمياه عرفة ، عن طريق مد قناة جديدة من بئر زبيدة (بحديقة الطفل الواقعة بأول العزيزية) إلى النياضه بالأبطح لجمع مياه وادي حنين و مياه نعمان من ذلك الموضع ثم توجيه مياههما إلى داخل مكة و يمكن تقسيم مراحل جهود العثمانيين في العناية بأمر العيون و قنواتها إلى أربع فترات تاريخية :

أ- القرن العاشر الهجري.

ب- القرن الحادي عشر الهجري.

ج- القرن الثاني عشر الهجري.

د- منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري وحتى سقوط الدولة العثمانية. وسأحاول إلقاء مزيد من الضوء على جهود العثمانيين في العناية بالعيون و قنواتها في هذه الفترات الأربع .

أولاً: جهود العثمانيين في القرن العاشر الهجري :

في أوائل حكم العثمانيين للحجاز عانى سكان مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام مشقة عظيمة في سبيل الحصول على الماء مما أدى إلى اهتمام السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م بإصلاح عين عرفة و عين حنين^{٦٣} . ولأهمية الدور الذي قام به السلطان سليمان القانوني في هذا العام وما تلاه. يجدر بنا أن نوضح ما عناه سكان مكة من مشقة في سبيل الحصول على الماء قبل الإصلاحات التي قام بها هذا السلطان.

فقد ذكر أحد المؤرخين عن ذلك ما نصه " في أوائل الدولة العثمانية بهذه الأقطار الحجازية بطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة، وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة ، من أبيار يقال لها العسيلات في علو

^{٦٣} قطب الدين الحنفي: مصدر سابق، ص ٢٨٤-٢٨٥، عبدالكريم القطبي: مصدر سابق ص ١٠٩-١١١، عبدالملك العصامي: مصدر سابق ج ١، ص ٨٥، الطبري: مصدر سابق ط ا ورقة ١٩٢-١٩٣ و ذكر أيوب صبري ان السلطان أمر بإصلاح قناة عين حنين و تنظيفها سنة ١٥١٩/٩٢٦م لكن على قدر ما توفر لي من الرجوع الى مصادر متعددة لم أجد ما يؤكد كلامه انظر أيوب صبري مرجع سابق ج ٥-٧ ص ٧٣١

مكة قريب من المنحنا ، ومن آبار في أسفل مكة من مكان يُقال له المواهد و يسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم (الزاهر) . وكان الماء غالباً قليل الوجود ، وكذلك انقطعت عين عرفة وتهدمت قنواتها ، وكان الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من الأمكنة البعيدة ، وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون غير الماء لعزته و لا يطلبون الزاد. وربما جلبه بعض الأقوياء من الأماكن البعيدة للبيع فارتفع سعر الماء جداً في يوم عرفة ، وكنت يومئذ مرافقاً في خدمة والذي رحمه الله تعالى و فرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة إلى عرفات وعطش أهلنا ، فطلبنا قليلاً من الماء للشرب ، فاشتريت قربة صغيرة جداً يحملها الإنسان بإصبعه بدينار ذهب ، والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبيلّ حلوهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بالباقي على بعض من كان مضطراً من الفقراء ، وعطشنا عقيبها ، وجاء وقت الوقوف الشريف و الناس عطاش يلهثون ، فأمرت السماء ، وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته و الناس واقفون تحت جبل الرحمة ، فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم^{٦٤} .

ولكن هذا المؤرخ لم يحدد لنا السنة التي وقع فيها ذلك. ولكنه فقط ذكر أن هذه الحادثة وقعت في أوائل الحكم العثماني للحجاز . وقبل عمارة السلطان سليمان القانوني لعين عرفة ، . وعين حنين سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م^{٦٥} . رغم أن هناك مؤرخ آخر نسب لذلك المؤرخ أنه قال بأن تلك الأحداث وقعت عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م^{٦٦}

كما تحدث مؤرخ آخر أن انقطاع ماء عين عرفة و عين حنين كان سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م^{٦٧} . ونتيجة لذلك صدرت أوامر السلطان سليمان القانوني ، بعمارة عين عرفة ، وعين حنين سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م . وعين للإشراف على ذلك ناظر من المجاورين بمكة اسمه مصلح الدين مصطفى. وقد بذل جهداً كبيراً من أجل إصلاح قناة عين حنين إلى أن جرى مأوها بمكة . وإصلاح قناة عين عرفة إلى أن ملأت مياهها برك عرفات . ثم اشترى الناظر من أموال السلطنة عبيداً سوداً . رتب لهم الموارد للإنفاق عليهم ليعملوا على صيانة و تنظيف قنوات العيون^{٦٨}).

^{٦٤} قطب الدين الحنفي: مصدر سابق ص ص ٢٨٤-٢٨٥

^{٦٥} المصدر السابق نفس الصفحة

^{٦٦} عبدالمك العصامي: مصدر سابق ج١، ص٨٥

^{٦٧} الطبري مصدر سابق ج١ ورقة ١٩٢-١٩٣

^{٦٨} قطب الدين الحنفي، المصدر السابق، ص ص ٢٨٤-٢٨٥، عبدالكريم القطبي مصدر سابق ص ص ١٠٩-١١١ ، عبدالمك العصامي: المصدر السابق، ج٤، ص٨٥ أيوب صبري: مرجع سابق ص

عمارة عين منى :

اختلف المؤرخون حول العين التي كانت تغذي بركة السلم. فقد نشر أحد المؤرخين نقشاً كتابياً عن عمارة بركة السلم وإعادة إصلاح القناة التي تغذيها سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م، وتساءل هذا المؤرخ عن العين التي كانت تغذي بركة السلم ، هل هي عين ، أم عين عرفة^{٦٩}.

وذكر مؤرخ آخر بعد إعادة نفس النقش إلى أنه يؤرخ لعمارة السلطان سليمان لعين حنين سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م^{٧٠} ، فأين الحقيقة إذن فيما ذهب إليه كل منهما ؟

والواقع أن عدم تحديدها للطبيعة الجغرافية للمنطقة المحيطة بموقع بركة السلم وعدم مراجعتها لما كتبه الفاسي عنها وعن قناة العين التي تغذيها ، أو وقع المؤرخ الأول في الحيرة بين نسبه هذه العمارة لعين حنين، أو لعين عرفة ، كما لم يوفق الآخر حينما نسبها إلى عين حنين . والصواب أن هذا النقش يؤرخ لإعادة إصلاح قناة عين منى التي تغذي بركة السلم في ذلك الوقت ، وهي بعيدة كل البعد عن عين حنين ويتكون النقش من ١٦ سطراً ، وهامشيين هذا نصه:

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم.
- ٢- صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
- ٣- متع الله الإسلام والمسلمين ببقاء مولانا.
- ٤- السلطان الأعظم و الخاقان المكرم سلطان .
- ٥- العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين ملك.
- ٦- الروم والعراقيين السلطان بن سلطان.
- ٧- السلطان سليمان خان من آل عثمان عز نصره.
- ٨- أمر إعادة إصلاح عين هذه البركة المعروفة ببركه.
- ٩- السلم بعدما انقطع مأ(ها) و بتجديد بنا(ء) هذ (ه) البركه.

^{٦٩} محمد أنور شكري :لوحان اثريان للسلطان قايتباي وسليمان القانوني دار الثقافة ،جامعة الملك عبدالعزيز .مكة المكرمة ،١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ص١٦-١٧-٤٧-٤٨

^{٧٠} لفرع : محمد فهد عبدالله : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية ، ص ص ٣٣٦-٣٣٧-٣٥٠

- ١٠- بعدما أندرست أماراتها و انهدمت بطول الزمان.
- ١١- عمارتها مورداً لحجاج بيت الله الحرام و لسائر.
- ١٢- الخاص والعام إبتغاء(ء) مرضات الله الملك العلام.
- ١٣- وذلك في أيام عدل مولانا السيد الشريف الحسب و النسب .
- ١٤- أمير الحرمين جمال الدين محمد أبو نمي ابن بركات الحسني أدام الله أيامه
- ١٥- وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين و تسعمائه من الهجرة (ة) النبوية.
- ١٦- على صاحبها أفضل الصلاة^{٧١} و السلام.

الهامش الأيسر

الهامش الأيمن

١- وذلك على يد الفقير

مصطفى ناظر

٢ - إلى الله تعالى

عين مكة المشرفة

٣ لطف

الله به

نلاحظ من خلال قراءة النقش عدم وجود أي كلمة تدل على أنه خاص بعمارة عين حنين ، فكل الذي ورد به أن السلطان سليمان أمر بإعادة إصلاح العين المغذية لبركة السلم، وتجديد بناء البركة بعد انهدامها ، في سنة ٩٣٥ هـ/١٥٢٧ م.

إضافة إلى ما سبق فإن هناك أمرين يؤيدان أن ما ورد بالنقش كان خاصاً بعمارة عين منى المغذية لبركة السلم ، وليس بعين حنين .

أولهما : قول الفاسي: "منها عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة في مصر في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، من منى إلى بركة السلم بطريق منى"^{٧٢}

ثانيهما :من خلال استعراضى لجميع جهود العثمانيين في توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة لم أقف على أي نص يشير إلى جلب مياه عين حنين إلى هذه البركة .ولكن الواضح أن الطبيعة الجغرافية للمنطقة المحيطة بها تمنع وصول عين حنين إليها

^{٧١}وردت هكذا و الصواب (ماؤها)

^{٧٢}الفاس :شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام "مصدر سبق ذكره "جـ ١ ص ٣٤٩

إيصال ماء عين عرفة إلى مكة المكرمة :

بالرغم من انتهاء السلطان سليمان القانوني من عمارة عين عرفة وعين حنين سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م وإصلاح عين منى المغذية لبركة السلم عام ١٥٢٨/٩٣٥م. إلا أن مشكلة نقص المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ظلت قائمة . و يظهر ذلك جلياً من سفر ناظر العين مصلح الدين مصطفى الذي تم على يديه إنجاز تلك الأعمال لمقابلة السلطان سليمان الذي لئى له جميع مطالبه الهادفة إلى توفير المياه للسكان وحجاج بيت الله الحرام. لكنه توفي غريماً عام ٩٣٧هـ/١٥٣٠م ببحر القلزم (الأحمر) . أما عن السنين التي تلت ذلك وظهر بها نقص المياه فقد سجلها لنا المؤرخين منها عام ٩٤٠هـ/١٥٣٣م وهو العام الذي تعرض فيه سكان البلد الحرام للمجاعة^{٧٣}. ومنها سنوات ٩٦٠هـ/١٥٥٢م^{٧٤}، ٩٦٣هـ/١٥٥٥م^{٧٥}، ٩٦٥هـ/١٥٥٧م. وما بعدها التي وصفها أحد المؤرخين بأنها كانت تقارن بسني يوسف شدة و عجفاً^{٧٦}

وفي سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١م. زادت حدة نقص المياه بمكة ، وأثر ذلك على ارتفاع أسعار السلع ، مما دفع بعض الفقراء إلى أكل لحم بغل ، وبلغ الأمر بأحدهم أن أخذ في سلخ جلد هرة ليأكل لحمها^{٧٧}. ولما عرضت تلك الأحوال على السلطان سليمان القانوني ، أصدر الأمر بتدارك ذلك بأي وجه كان. وأمر بالبحث عن العيون ، وكيفية إجراء مياهها إلى بلد الحرام، مما أدى إلى اجتماع عدد من أعيان مكة المشرفة مع قاضي البلد عبد الباقي بن علي المغربي ، والأمير خير الدين خضر سنجق جدة ، لتدارس أمر السلطان^{٧٨} . وبعد مشاورات اللجنة فيما بينها أجمعوا على :

^{٧٣} الفاس المصدر السابق نفس الصفحة ج١ ص ٣٤٩ ابن فهد :نجم الدين عمر بن محمد(٨١٢-٨٨٥هـ) ، اتحاف الوري بأخبار أم القرى. ثلاثة أجزاء، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب العشرون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج٣ ص ٢٩٩

^{٧٤} أيوب صبري :مرجع سابق ص ٧٣٩

^{٧٥} عبدالملك العصامي :مصدر سابق ج١، ص ٨٥

^{٧٦} الطبري :مصدر سابق ج١، ورقة ٢٣٣-٢٣٦

^{٧٧} قطب الدين الحنفي :مصدر سابق ص ٢٨٦ /محمد باشا صادق :دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة

من كل فج ط١ ،المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق /مصر ،١٣١٣هـ ص ٦٢

^{٧٨} عبدالقادر الجزيري :مصدر سابق ج٢، ص ١٠٣٦-١٠٣٧-١٠٦٢-١٠٦٣

١- أن أغنى العيون الموجودة في ذلك الوقت هي عين عرفة ، وجاء رأيهم ذلك بعد أن أدركوا قلة مياه عين حنين وانقطاعها في بعض السنين . في الوقت الذي كانت فيه مستمرة في عطائها^{٧٩}.

٢- أن قناة عين عرفة: معروف مسارها من المنبع إلى بئر زبيدة^{٨٠} (تقع الآن في حديقة الطفل الواقعة بأول العزيزية).

٣- أن هناك قناة مخفية تحت الأرض ، تمتد من بئر زبيدة إلى داخل مكة ، وذلك يحتاج إلى حفر التراب للكشف عنها وإصلاحها.

٤- أن تكاليف إصلاح هذا الجزء المختفي تحت الأرض يقدر بثلاثين ألف دينار^{٨١}.

فلما عُرض ذلك على السلطان في أوائل سنة (٩٦٩هـ) التمسست أخته "هانم سلطان" منه أن يأذن لها في عمل هذا الخير . حيث كانت صاحبة الأولى زبيدة أم جعفر العباسية . فطلبت أن تكون هي أيضاً صاحبة هذا الخير فأذن لها في ذلك ، فاستشارت الوزراء فيمن يصلح لتولي العمل في هذه الخدمة . فجاءت الآراء أن لا يقوم بها إلا دفتر دار ديوان مصر الأمير الكريم إبراهيم بن تغري بردي^{٨٢}

بعد دراسة الوضع بدأ العمل بعد أن قابل رئيس الحرمين القاضي حسين الحسني بمكة المكرمة وعرض الأمر عليه فأشار القاضي على الأمير إبراهيم بما ينبغي عليه وما يجب ملاحظته. ويبدو أن هناك أعداداً من العاملين قد فروا من موقع العمل إلى مصر مما دفع السلطان سليمان سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م إلى أمر والي مصر للعمل على إعادة العاملين للذين هربوا إلى عرفات^{٨٣} . كما أصدر السلطان أمره إلى أمير مكة بالاستمرار في تقديم مساعداته إلى الأمير إبراهيم والعامل حتى يتمكنوا من إنهاء أعمال العمارة بقناة عين عرفة^{٨٤}.

^{٧٩}الحنفي: مصدر سابق، ص٢٨٦، عبدالمك العصامي مصدر سابق ج٤، ص ٨٥، الطبري: مصدر سابق، ورقة ٢٣٣-٢٣٦

^{٨٠}قطب الدين الحنفي: المصدر السابق ، ص٢٨٦، عبدالمك العصامي المصدر السابق ج٤ ص ٨٥ الطبري: مصدر سابق ورقة ٢٣٣-٢٣٦

^{٨١}الحنفي ، المصدر السابق، ص٢٨٦-٢٨٧، عبدالمك العصامي: مصدر سابق ج٤ ص ٨٥

^{٨٢}المصدر السابق، نفس الصفحة عبدالكريم القطبي المدر السابق، ص ١١١

^{٨٣}الحنفي: مصدر سابق ص ٢٨٧، الطبري: مصدر سابق ورقة ٢٣٣-٢٣٦

^{٨٤}وثيقة دفتر المهمة رقم ٥ ص ٥٤٥ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

وبعد وفاة السلطان سليمان خلفه ابنه السلطان سليم، فأخذ يتابع أعمال العمارة ، والذي كان قد عين لهذه الخدمة دفتنر دار مصر يومئذ محمد بك اكملجي زاده . وقد بذل فيها نفسه وماله ولكنه لم يستطع إتمام العمل لوفاته في اليوم الرابع من جماد الأولى سنة ٩٧٦هـ/١٥٦٨م، ثم رجع إلى خدمة العين الأمير قاسم بك مباشراً لهذه الخدمة حتى توفي عام ٩٧٩هـ/١٥٦٨م ، ثم توجه شيخ الإسلام القاضي حسين الحسني ، إلى إتمام ما بقي من الأعمال على مقتضى الأمر السلطاني. و تم له إنجاز العمل المتبقي فيما دون الخمسة أشهر.

وكان دخول ماء عين حنين في العشرين من ذي القعدة سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م بعد أن استمر إنجاز هذا العمل ما يقرب من عشر سنوات^{٨٥}. ومن المفيد أن نوضح أن يوم دخول ماء عين عرفة إلى مكة كان يوماً سعيداً، فرح به سكان بلد الله الحرام مثل يوم العيد الأكبر لإحساسهم بزوال همّ الحصول على الماء^{٨٦}

إنشاء قناة بعين عرفة :

رأى السلطان سليم بن سليمان أن من الأفضل بناء قناة مستقلة ، لنقل ماء عين عرفة من الأبطح إلى آخر المسفلة دون اختلاطها بماء اختلاطها بماء قناة عين حنين ، وإيصال الماء من القناة الجديدة داخل مكة إلى مجموعة من الأسئلة حددها له وأصدر السلطان أمره سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م إلى والي مصر سنان باشا باختيار من يقوم بهذا العمل . فرشح له الأمير اسكندر باشا الجركسي الذي كان يشغل منصب والي مصر سابقاً . فصدرت الأوامر بتعيينه لهذه المهمة مع مشاركة القاضي حسين الحسني و سنجق جدة . وتم لهم بناء القناة من الأبطح إلى المدعي ثم إلى سويقه ، ثم عطف بها إلى السوق الصغير ، ثم على آخر المسفلة^{٨٧}

وبذلك استطاع العثمانيون في القرن العاشر الهجري إنشاء قناة جديدة لنقل ماء عين عرفة من بئر زبيدة إلى آخر المسفلة. وعلى الرغم من هذه الأعمال العظيمة التي

^{٨٥} وثيقة بدفتنر المهمة رقم ٦ ص ٢١٤ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{٨٦} الحنفي: مصدر سابق ص ٢٩٧ عبدالكريم القطبي مصدر سابق ص ١١٣، عبدالمك العصامي مصدر سابق ص ٨٨، الطبري: مصدر سابق ورقة ٢٣٣-٢٣٦، السيد عبدالله محمد الزواوي : بغية الراغبين وقرّة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلّق بعين الجوهرة- السيدة زبيدة أم الأمين - ط١- المطبعة الخيرية، ١٣٣٠هـ، ص ١٩-٢٠

^{٨٧} الحنفي: مصدر سابق ص ٢٩٢، عبدالمك العصامي: مصدر سابق ج٢، ص ٨٨، السيد عبدالله الزواوي : مرجع سابق ص ٢٠

قام بها العثمانيون في إصلاح قناة عين عرفة ، وإيصالها إلى آخر المسفلة بمكة المكرمة فقد ظهر بعد فترة قصيرة حاجة بعض مواضع من قناة عين عرفة للترميم .

وكي لاتسوء حالة القناة ويستقل الخراب وتكثر تكاليف الإصلاح أصدر السلطان أوامره إلى والي مصر سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م بتقدير قيمة التكاليف. والإسراع في إنجاز العمل^{٨٨}. ولكي يتم تنفيذ هذا المشروع في أقصر وقت وعلى وجه الدقة فقد وجه السلطان كتاباً إلى أمير مكة حثه فيه على الاهتمام بمساعدة القائم بهذه الأعمال . وإمداده بما ينقصه من الآلات ، والأدوات^{٨٩} ثم أمر أحمد بك بالوقوف على مواضع الخراب لتحديد ما يحتاج إصلاحها، كما أمره أيضاً أن يعمل بجد، وسرعة و أن يصرف الأموال في محلها اللازم ، وأن لا يتلفها^{٩٠} ، و يجدر بنا هنا أيضاً أن نشيد بالعمل الذي قام به السلطان مراد بن سليم ٩٩٠هـ/١٥٨٢م وهو صدور أمره إلى قاضي مكة المكرمة بالعمل على ترميم قنوات مياه عين حنين ، ومتابعة قناة عين عرفة بالإشراف و الترميم^{٩١} .

ب- جهود العثمانيون في العناية بالعيون و قنواتها في القرن الحادي عشر الهجري:
يبدو أن أمر توفر المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة بعد جهود العثمانيين التي بذلت في القرن العاشر الهجري لم يستمر طويلاً و يتضح ذلك من خلال روايات بعض المؤرخين كما يظهر ذلك من النقش الخاص بعين عرفة الذي قام بنشره محمد الفعر^{٩٢} .

فقد ذكر لنا أحد المؤرخين ما نصه : أما في زماننا فيضرب المثل بالغلاء الواقع في سنة سبع بعد الألف ... ولم يستمر هذا الغلاء إلا نحو ثلاثة أشهر وفيه أكل الناس لحوم الكلاب والبس (القطط) . وسمعت من شيخنا وسيدنا السيد الوالد رحمه الله تعالى، أن الفقراء كانوا يأخذون دم الشاه و يجعلونه في إناء على النار ثم يستعملونه ، ثم وقع بعد ألف و تسع (١٠٠٩هـ/١٦٠٠م) غلاء متعدد في أعوام متعددة^{٩٣} .

أما النقش الكتابي فيتكون من ثلاثة سطور ما نصه :

^{٨٨} الحنفي مصدر سابق ص ٢٢٤-٢٢٦ ، سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٦١ ، السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءاً، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ب)، ج٢ ورقة ١١٦-١١٧ ، الطبري: مصدر سابق ج١ ورقة ٢٥١-٢٥٣
^{٨٩} وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ٨٣ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول
^{٩٠} وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ١٨٤ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول وكذلك انظر صورة هذه الوثيقة رقم ٤

^{٩١} وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٣ ص ٨٨ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{٩٢} وثيقة بدفتر المهمة رقم ٤٨ ص ١٠٣ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{٩٣} محمد الفعر :مرجع سابق ص ٤٣١-٤٤١

١- أمر بتعمير عين عرفات فايضه البركات من أول وادي نعمان إلى بلد الله ذي الأمن و الأمان مولانا السلطان .

٢- الأعمم و الخاقان الأفخم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان.

٣- بمباشرة الفقير إلى رحمة الله (أيد الله سلطانه إلى آخر الزمان سنة خمس و عشرين بعد الألف) حسن باشا عفى عنه^{٩٤}

أما إشارات المؤرخين ، عما جاء متصلاً بأعمال الإصلاحات التي قام بها السلطان أحمد خان لعين عرفة فنجد أنها تضمنت إصلاحات لها في سنة ١٠١٩هـ/١٦١٠م^{٩٥} وسنة ١٠٢٠هـ/١٦١١م^{٩٦} . وسنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م^{٩٧} الأمر الذي يجعلنا نرجح أن النفش قد أثبت واحدة من هذه الإصلاحات وهي الأخيرة في عهد السلطان المذكور ، ولا ينفي هذا ما سبق هذا التاريخ من إصلاحات . ويزكي هذا ما ذهب إليه إبراهيم رفعت من أنه حصل لعين عرفة وقنواتها تعميمات سنة ١٠١٩هـ/١٦١٠م و سنة ١٠٢٠هـ/١٦١١م ، سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م^{٩٨} .

وقد أكد هذا القول مؤرخ آخر^{٩٩} أنه في أوائل العشرين من ذي الحجة من سنة عشرين بعد الألف وصل من الديار الرومية الباشا حسن المعمار . وبعد إتمام مناسك ذلك العام وقبول الحجاج إلى بلادهم توجه إلى عمارة العين (عين عرفة) ، و قول مؤرخ آخر^{١٠٠}: "وفي عام ثلاثة وعشرين بعد الألف وصل الباشا حسن لعمارة العين".

و نخلص من ذلك إلى ترجيح القول بأن السلطان أحمد عمّر قناة عين عرفة أكثر من مرة وأنه أرسل حسن باشا المعمار لعمارتها سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٤م وأن الانتهاء من عمارتها كان في عام ١٠٢٥هـ/١٦١٦م . وفي عهد المؤرخ الطبري (ت ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) عمّرت عيون كثيرة بالقرب من مكة ، إلا أنه لم يحدد الغرض منها . هل كانت مياهها تصل إلى مكة للشرب ، أم كانت تخدم الأغراض الزراعية . ونتيجة للسيول التي أصابت مكة المكرمة عام ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م ، فقد ضُربت كافة

^{٩٤} الطبري: مصدر سابق ورقة ٥٤

^{٩٥} محمد الفهر: مرجع سابق ص ٤٣١-٤٤١

^{٩٦} إبراهيم رفعت: مصدر سابق ج١ ص ٢٢٠-٢٢١

^{٩٧} عبدالملك العصامي: المصدر السابق ج٤ ص ١٠٣-٣٩٧ السيد عبدالله الزواوي: مرجع سابق ص ٢١

^{٩٨} علي الطبري: مصدر سابق ورقة ٣٧

^{٩٩} إبراهيم رفعت: مصدر سابق ج١ ص ٢٢٠-٢٢١

^{١٠٠} عبدالملك العصامي: مصدر سابق ج٤ ص ٣٩٧

قنوات المياه ، مما دفع دار السلطنة إلى إمداد إبراهيم بك بمبلغ خمسين ألف دينار لصرفها على إصلاح قنوات المياه ، وفي سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م. انقطعت مياه عين عرفة فتعب الناس من قلة الماء . وارتفع سعره فعين لعمارها محمد بك سنجد جدة الذي اهتم بتنظيف قنوات العين^{١٠١} ثم عمّر ما تهدم منها^{١٠٢}.

كما أثرت السيول بعد ذلك في تخريب قنوات المياه في سنين متعددة ، فتم إصلاحها بأمر السلطان محمد بن إبراهيم في عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م^{١٠٣} و عام ١٠٩٢هـ/١٦٨١م^{١٠٤} وفي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م وصل إلى مكة سليمان أعامير "ياخور" بمرسوم من السلطان محمد بن إبراهيم إلى الشريف سعيد بن بركات مضمونه تسهيل مهمة سليمان ، لتعمير عين عرفة وقنواتها التي تهدمت بسبب السيول الذي داهمها في ذي الحجة عام ١٠٩٢هـ/١٦٨١م.

وفي عام ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م عمر سنجد جدة مواضع من قناة عين عرفة بوادي نعمان ، وفي عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م وصل إلى مكة معمار من قبل السلطنة لتفقد أحوال عمارة قناة عرفة بوادي نعمان ، وقد تم على يده إنجاز تلك العمارة في عام ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م، وعلى ذلك فقد خرج المعمار بصحبة سنجد جدة وقاضي الشرع في ١٧ ذي الحجة عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م إلى وادي نعمان للإشراف على الأعمال^{١٠٥}.

جـ جهود العثمانيين في العناية بالعيون و قنواتها في القرن الثاني عشر الهجري :

أفاضت كتب مؤرخي مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري بمعلومات هامة عن جهود العثمانيين لتوفير المياه لأم القرى^{١٠٦}. كما أسهمت الوثائق المعاصرة أيضا بإمدادنا بمزيد من هذه المعلومات فقد أشار أحد المؤرخين أنه في شهر ربيع الثاني عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م انهدم نحو ثلاثين ذراعاً من قناة عين عرفة ، وفور وصول هذا

^{١٠١} الطبري: مصدر سابق ورقة ٣٧

^{١٠٢} محمد المكي: مرجع سابق ص ٣١

^{١٠٣} الزواوي: مرجع سابق ص ٢١

^{١٠٤} المرجع السابق ص ٢٢

^{١٠٥} أحمد دحلان: مصدر سابق ص ٩٨، الزواوي: مرجع سابق ص ٢٢

^{١٠٦} علي السنجاري: على بن تاج الدين بن تقي الدين، الحنفي المكي (ت ١١٢٥هـ): منابع الكرم في أخبار مكة وولاية الحرم، مخطوط من ثلاثة أجزاء بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (٣٥٣٥)، (٣٥٣٦)، (٣٥٣٧) ج ٣ ورقة ١٤-١٥، الزواوي: مرجع سابق ص ٢٢

الخبر لأمير مكة^{١٠٧}) بعث في حينه بالمهندسين وغيرهم للنظر و التوجيه فاقضى أمرهم صنع قناة من خشب ليمر فيها الماء إلى أن ينتهوا من إصلاح المتهدم من القناة فاجتهد الجميع في ذلك وفرغوا من تركيب القناة الخشبية ، ثم بعد ذلك توجهوا إلى العمل في بناء المتهدم من القناة وأجروا فيه الماء^{١٠٨}.

أما ما ذكرته لنا المصادر العربية عن جهود السلطان أحمد خان الأول من أجل توفير المياه لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة فيطالعنا منها خبر وصول محمد بيك ابن حسين باشا عام ١١٢٣هـ/١٧١١م إلى مكة المكرمة بأمر من السلطان لإصلاح عين عرفة^{١٠٩} وبعد وصوله إلى مكة بأربعة أيام ، في يوم الثلاثاء ٢٧شوال عام ١١٢٣هـ/١٧١١م توجه إلى وادي نعمان للكشف عن الخراب الذي أصاب القناة عين عرفة و تقدير ما يحتاج إليه أمر الإصلاح^{١١٠} وكان بصحبته أمير مكة الشريف عبدالكريم^{١١١} والشريف يحيى بن بركات^{١١٢} وجمع من السادة الأشراف وقاضي مكة والمفتون والعلماء ، وبعض الباشوات منهم إبراهيم باشا^{١١٣} وغيرهم وبعد إتمام قراءة الأمر السلطاني توجه الجميع إلى وادي نعمان وأشرفوا على مواضع الخراب ويقول أحد المؤرخين وفي هذه المدة (سنة ١١٢٥هـ) تمت عمارة العين على أحسن بنيان بنظر المعمار الأمين محمد بيك بن حسين باشا^{١١٤}.

أما الوثائق فقد عثرت على تسع منها أربع تشير إلى عمارة قناه عين عرفة سنة ١١٢٢هـ/١٧١٠م و وثيقتين تشيران إلى إصلاح قناة عين عرفة سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م، وثلاث وثائق تفصل لنا أعمال الإصلاح و العمارة ، التي قام بها السلطان أحمد خان الأول عام ١١٢٤-١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣م، في قناة عين عرفة ، وقناة عين حنين ،

^{١٠٧} علي السنجاري: مصدر سابق جـ٣ ورقة ١١٧-١١٨، الطبري: مصدر سابق جـ٢ ورقة ٢٠٩ ، أيوب صبري: مرجع سابق ص ٧٣٩، محمد المكي: مرجع سابق ص ١٦٠

^{١٠٨} كان أمير مكة الشريف سعد بن سعيد بن زيد في هذا العام، انظر أحمد دحلان: مصدر سابق ص ١١٩-١٢١

^{١٠٩} الزواوي: مرجع سابق ص ص ٢٢-٢٣، محمد المكي: مرجع سابق ص ١٣٢

^{١١٠} السنجاري: مصدر سابق ورقة ١١٧، الطبري: مصدر سابق جـ٢ ورقة ٢٠٩

^{١١١} المصدر السابق: نفس الصفحة

^{١١٢} كانت ولايته الاخيرة على مكة الرابع من شهر شعبان عام ١١١٧هـ إلى عشرين ذي القعدة عام ١١٢٣هـ انظر: أحمد دحلان: مصدر سابق ص ١٦٦

^{١١٣} كانت ولايته الاولى على مكة عام ١١٣٠هـ مصدر سابق ص ١٧٠

^{١١٤} كان سنجد جده في عام ١١٢٢هـ مصدر سابق ص ١٧٠

هذا فضلاً عما زودتنا به من معلومات من أعمال السلطان في العديد من منشآت المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

- في سنة ١١٢٢هـ/١٧١٠م أمر السلطان أحمد خان الأول والي مصر إبراهيم باشا بتأمين جميع ما تحتاجه أعمال قناة عين عرفة من نفود ومواد بناء.

وإرسالها إلى مكة المكرمة مع محمد آغا المعين ناظراً على هذه العمارة ، كما أخذ السلطان في متابعة أخبار ناظر العمارة وسير العمل فإذا أثبت تقصيره في العمل أقصى من منصبه و عُيِّن رجلاً بدلاً عنه ^{١١٥} .

- وفي سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م أصدر السلطان أمره إلى والي مصر بإرسال مبلغ من المال لإصلاح قناة عين عرفة ، ووجه خطاباً إلى متصرف جدة ، وقاضي مكة المكرمة يخبرهما فيه بذلك الإجراء ^{١١٦}

- أما الوثائق الثلاث التي حوت تفصيل أعمال السلطان أحمد خان الأول في إصلاح وترميم قناتي عين عرفة و عين حنين ، فقد تناولت الوثيقة الأولى منها أعمال محمد بيك منذ بدأ العمل إلى أواخر شهر ذي القعدة سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م ^{١١٧} .

بينما تناولت الوثيقة الثانية إرسال السلطان أحمد خان الحاج مصطفى "آغا قابوجي باشي" الشهير "بدايه زادة" للكشف عن أعمال محمد بك في عامي ١١٢٤هـ، ١١٢٥هـ/١٧١٣، ١٧١٢م ^{١١٨} ولمزيد من الدقة في العمل وإعطائه الصفة الشرعية لجأ الحاج مصطفى إلى تكوين لجنة من كبار علماء مكة.

وقضاتها لمشاركته في الإشراف على هذا العمل و تناولت الوثيقة الثالثة كشفاً مجملاً لتكاليف المشروع ^{١١٩} .

الدولة العثمانية والإشراف على المنشآت المائية بمكة المكرمة :

إن إشراف الدولة العثمانية على تنفيذ مشروعات المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة كان يسير تبعاً لنظام غاية في الدقة . فبعد أن قرر السلطان أحمد خان الأول تزويد مكة بالماء بعد انقطاع مياه العيون عنها بعث من عنده بمحمد بك حسين

^{١١٥} الطبري : مصدر سابق ج٣ ورقة ٢١٥-٢١٧

^{١١٦} وثيقة بدفتر مهمة مصر رقم ١ ص ٣١-٣٢-٣٣

^{١١٧} وثيقة بدفتر مهمة مصر رقم ١ ص ٥٠-٥٠ب

^{١١٨} وثيقة رقم ١٦٧٦ (MAD) بارشيف رئاسة وزراء العثمانية باستانبول ص١

^{١١٩} وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

باشا ، لتنفيذ ذلك ، وزوّده بما يحتاج إليه من الأموال و العمال و المهندسين و مواد البناء . لكن السلطان أحمد خان الأول لم يترك الأمر لمحمد بيك وحده ، بل زوده بفرمان قرأه على أمير مكة وقاضيهما وجمع من علماء مكة وأصحاب النفوذ فيها ليأخذ برأيهم و بمشورتهم بما فيه نجاح العمل و تقدير نفقاته .

وقد تم له عمل تقرير بمصروفات الحاج محمد بيك على منشآت مياه مكة المكرمة والمشاعر المقدسة . وعلى الرغم من هذه الأعمال العظيمة ، التي تمت لعمارة قناتي عين عرفة وعين حنين عامي ١١٢٤-١١٢٥/١٧١٢-١٧١٣م ، فإن استمرار تدفق المياه إلى مكة لم يدم طويلاً مما جعل الدولة العثمانية تقوم بأعمال معمارية لإصلاح وترميم المياه سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م^{١٢٠} .

ثم ظهر بعد ذلك في الفترة من سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م إلى سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م . نقص في كمية المياه الواردة إلى مكة المكرمة من عين عرفة ، مما تطلب بذل جهود لإصلاح هذه القناة وبعض خرزها في هذه الفترة ، وفي سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م عانى سكان مكة من قلة الماء حيث بلغ ثمن القرية خمسة ديواني . وازدحم الناس أثناء ملء دوارقهم من موارد المياه مما تسبب في حصول مشاجرة بين بعضهم وقتل رجل . عندئذ توجه باكير باشا سنجق جدة إلى وادي نعمان سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م للكشف عما أصاب قناة عين عرفة . ثم رجع إلى مكة في ٢٧ من شهر ربيع الأول لنفس العام بعد أن أمر بإصلاح أحد خرز القناة وكان من نتائجها تدفق المياه بكثرة عبر قناة عين عرفة إلى مكة^{١٢١} .

لكن أثر هذا الإصلاح لم يدم طويلاً فقد ظهر في حج نفس العام أن الماء لم يكن يفي باحتياجات الحجاج والسكان ، حيث بيعت القرية منه بثلاثين ديوانياً بعد أن قلت مياه الأبار و العيون^{١٢٢} . وفي سنة ١١٤٩هـ/١٧٣٦م أمر السلطان محمد خان أحمد باشا متصرف جدة بترميم وتنظيف قنوات المياه بمكة المكرمة^{١٢٣} .

ويشير حسين الوريثاني ، صاحب الرحلة الوريثانية الذي حج عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م ، إلى انقطاع ماء عين حنين في عهده ، وإلى قلة المياه بقوله: "وقد زاد الفساد والظلم والتعدي من الأشراف وغيرهم من أصحابهم(بمكة) فلا يكادون يرجعون عن التعدي بل على أقل شيء يقتلون العبد ، ولقد قتلوا صاحب أخينا في الله سيدي محمد بن قسوم

^{١٢٠} وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ص ٣
^{١٢١} وثيقة رقم ٦٣٦٥ ابن الأمين -أوقاف-بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول
^{١٢٢} الطبري :مصدر سابق ج٣- ورقة ٢١٣-٢١٤
^{١٢٣} مصدر سابق ورقة ٢٢٣

الريفي على شربة ماء^{١٢٤} ، ثم ينقل لنا رواية سمعها عن اهتمام سلاطين آل عثمان بأمر توفير المياه لمكة في عهده بقوله : "قال أبو سالم وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية (القناة) ما يدل على فخامة ملكهم وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين" و يدعم قوله ما ورد بأربع وثائق عن قيام الدولة العثمانية بإصلاح قنوات المياه بمكة المكرمة في أعوام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م^{١٢٥} و ١١٧٦هـ/١٧٦٢م^{١٢٦} و ١١٧٨هـ/١٧٦٤م. أما في عام ١٨١١هـ/١٨٦٧م^{١٢٧}) فقد أمر السلطان مصطفى بن أحمد بتنظيف و تعمير قناة عين عرفة ، وقناة عين حنين، وتشير وثيقة مؤرخة بعصر السلطان عبدالحميد الأول سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م إلى أن مياه عين عرفة انقطعت عن الوصول إلى برك عرفة مما أدى إلى عطش الحجاج و سكان مكة . فلما رفع إليه تقرير عن قيمة الإصلاح أمر والي مصر بتسديد قيمة ذلك من خزينة مصر . ثم وجه أمير مكة الشريف سرور ابن مساعد ، وقاضي مكة المكرمة ، وفيض الله أمين المباني بمكة و المعمار محمد كبير آغا إلى العمل على تنظيف و ترميم القناة ومتابعة العمل و الجد وعدم الإسراف في الإنفاق^{١٢٨}).

كما تم في عهد أمير مكة الشريف سرور بن مساعد ١١٨٦-١٢٠٢هـ/١٧٦٢-١٧٨٧م^{١٢٩}) إصلاح قناة عين عرفة .

د- جهود العثمانيين في العناية بالقنوات في القرن الثالث عشر الهجري و حتى سقوط الدولة العثمانية :

في بداية القرن الثالث عشر الهجري رفع أمير مكة الشريف غالب تقريراً إلى السلطان عبدالحميد الأول أفاد فيه عن حاجة قناة عين عرفة إلى ترميم وإصلاح ثلاث خرزات تسمى بالخرز الشامية . فصدر أمر من ديوان السلطان بالكشف عن مواضع الخراب ، وتقدير قيمة الإصلاح و الترميم. وتم رفع كشف لقسم المحاسبة بديوان السلطان قدروا فيه ثمن إصلاح الخرزات بمبلغ ٤٥٠٠٠ قرش ، بواقع ١٥٠٠٠ قرش لكل خرزة ، وعليه أمر السلطان بتكليف محمد كبير آغا بإصلاح الخرزات . ولكنه أبطأ في إنجاز المشروع ، فارتفعت أجور العمال وأسعار السلع وبالتالي ارتفعت معه تكاليف

^{١٢٤} وثيقة رقم ٢٨٥٨٥ تصنيف جودت -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.
^{١٢٥} الحسين الوريثاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الاخبار المشهورة بالرحلة الوريثانية ط٢، دار الكتاب العربي ،لبنان بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ص ص ٤٢٠-٤٢١
^{١٢٦} وثيقة رقم ٦٤٩٤ ، تصنيف جودت -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول
^{١٢٧} وثيقة رقم ٢٥٨٧ ، تصنيف جودت نافعة -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول
^{١٢٨} وثيقة رقم ٠٦٧ ، تصنيف جودت نافعة -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول
^{١٢٩} وثيقة رقم ٢٥٨٧ ، تصنيف جودت -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

الإصلاح إلى ٥٠٠٠٠ قرش بزيادة قدرها ٥٠٠٠ قرش^{١٣٠}. ويشير كاتب الوثيقة على السلطان بأن زيادة هذا المبلغ أو ضعفه لا تمنع من إصلاح قنوات المياه بمكة المشرفة لراحة عامة المسلمين ، وعلى هذا أصدر السلطان أمره بتنفيذ إتمام المشروع سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م^{١٣١}.

وفي شعبان سنة ١٢٠٨هـ داهم مكة المكرمة سيل عظيم ، دمر قنوات المياه في كل المواضع ، التي وصل إليها السيل مما تسبب في قطع مياه العيون بمكة . فقام يوسف باشا محافظ المدينة المنورة بترميم وإصلاح بعض المواضع في القناة . فسهل جريان الماء عبر القنوات^{١٣٢} غير أنه كان قليلا جدا بسبب تراكم الأتربة في مجموعة من الخرزات ، ومواضع عديدة من القناة^{١٣٣}).

وفي سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م أمر السلطان (سليم الثالث) الوزير عبدالله باشا والي الشام وأمير الحج بالاستمرار في جمع الأموال من الشام و حمص و حماه للإنفاق منها على عمارة قنوات المياه بمكة المكرمة^{١٣٤} . وقد استمرت أعمال الإصلاح هذه مدة سنتين ، حيث زودتنا وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م. بأخبار عن وصول رسائل إلى السلطان من أمير مكة الشريف غالب . ووالي جدة ، ومحافظ المدينة المنورة ، بطلب مواد بناء وأموال للإنفاق على عمارة قنوات المياه بمكة المكرمة^{١٣٥} . وبعد كل هذه الأعمال يبدو أن تدفق المياه إلى مكة بدأ يتناقص ، حيث أشار "بوخارديت" Bukhardte إلى ذلك وقت زيارة مكة عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م بما ترجمته : أنه نتيجة لإهمال صيانة قناة عين عرفة ، وعدم ترميمها وتنظيفها فإن معظم المياه كانت تتسرب إلى الأرض و تفيض على شكل نهير في مقدمة القناة بعرفة ، مما نتج عنه ارتفاع سعر الماء وتزاحم الناس ، وتشاجرهم أثناء الحصول عليه من الأسبلة ولذلك فقد اهتم محمد علي باشا والي مصر بإصلاح قنوات عيون مكة في سنين مختلفة^{١٣٦} . كما قام محمد علي باشا عام ١٢٣٥هـ/١٨١٩م بتجديد عمارة قناة عين حنين وبعض قنوات مياه العيون الأخرى ،

^{١٣٠} أحمد دحلان مصدر سابق ، ص ٢٠٧-٢٣٤

^{١٣١} وثيقة رقم ٧٦١٩ تصنيف جودت -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{١٣٢} الوثيقة السابقة

^{١٣٣} وثيقة رقم ١٠٧١٧ كرتون ٤٧/٢٦٦ . تصنيف خط الهمايون بارشيف رئاسة الوزراء العثماني

باستانبول .

^{١٣٤} الوثيقة السابقة

^{١٣٥} وثيقة رقم ٣٤١ ، تصنيف جودت -أوقاف بارشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{١٣٦} وثيقة رقم ٤٣١٢ كرتون ٢٩/٣١ تصنيف خط الهمايون بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني

وأخبر الباب العالي بنتيجة هذه الأعمال^{١٣٧}، وفي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م هطلت أمطار غزيرة سالت على إثرها سيول عظيمة خربت قنوات المياه^{١٣٨} فانقطع وصول المياه عن مكة . ومكث الناس في ضيق ما يقرب الشهر . فأمر والي مصر محمد علي باشا بتعميرها و صرف عليها مبلغاً كبيراً من المال حتى صلحت^{١٣٩} . وبفضل ما كتبه أحد المؤرخين^{١٤٠} وما جاء بمجموعة وثائق - تم لي بحمد الله العثور^{١٤١} عليها - أمكن الحصول على معلومات إضافية عن الاهتمام بالعيون وقنواتها شملت إنشاء عين الزعفران ، لتغذية قناة عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م حيث أنه بعد إصلاح محمد علي باشا لقنوات مياه عيون مكة المكرمة ، حيث قام الماس أغا ، أحد زوار مكة من الهند عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م بحفر بئر بالقرب من عين حنين لتغذية قناة العين بمائها ، وأثناء الحفر ظهر له ماء جار سماه بعد اكتشافه له بعين الزعفران ، ثم أوصل مياهها بقناة عين حنين^{١٤٢} . وإصلاحات في قنوات مياه العيون في عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م ، وعام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م .

وقد استمرت الدولة العثمانية في إشرافها على صيانة وترميم قنوات المياه بمكة المكرمة، حيث خصص السلطان عبدالعزيز خان (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/١٨٦١-١٨٧٦م)^{١٤٣} مبلغ ٢٠٠ ليرة عثمانية تدفع سنوياً لصيانة قنوات المياه . هذا فضلاً عن أمره بتعيين مهندس وناظر على فريق من العمال للقيام بصورة دائمة بأمر صيانة قنوات المياه^{١٤٤} كما عمّر تقى الدين باشا أحد ولاة الحجاز (١٢٩١-١٢٩٤هـ-١٨٧٤-١٨٧٧م)^{١٤٥} ، ١٣٠ متراً من منبع قناة عين عرفة باتجاه مكة المكرمة . ودفعت مصاريف ذلك على أن تسدد من خزينة الدولة إلا أن هذا العمل لم يكتمل نظراً لكثرة الأتربة التي سدّت القناة فلم يؤد ذلك إلى جريان الماء الكافي لبلد الله الحرام .

^{١٣٧} وثيقة بدارة الملك عبدالعزيز رقم ١/٥-٦٢، أيوب صبري: مرجع سابق، ج٧، ص ٧٣٩

^{١٣٨} أيوب صبري: مرجع سابق ج٧، ص ٧٣٩

^{١٣٩} الزواوي: مرجع سابق ص ٢٣ ، محمد الكردي: مرجع سابق ج٢ ص ١٩٩

^{١٤٠} المرجع السابق: نفس الصفحة

^{١٤١} الزواوي: مرجع سابق ص ٢٣

^{١٤٢} ارشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض و بعضها بمكتبة جامعة اسطنبول ، ارشيف رئاسة الوزراء العثماني

^{١٤٣} أيوب صبري: مرجع سابق ج٥-٧ ص ٧٤٨

^{١٤٤} محمد المحامي: مرجع سابق ص ٥٢٩-٥٧٦

^{١٤٥} محمد المكي: مرجع سابق ص ٤٦-٤٨

لجنة عين زبيدة :

كان في صدر الجهات غير الحكومية لجنة عين زبيدة التي شكلت عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م استقدمت من الهند مهندسين وصناعاً^{١٤٦}، وبدأوا أعمالهم المعمارية عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م باستخدام مجموعة من العمال تجاوز عددهم ثلاثة آلاف عامل^{١٤٧}.

ويمكن إجمال أعمال هذه اللجنة فيما يخص العيون و قنواتها فيما يلي :

١- العناية بقناة عين عرفة في المناطق التي تمر بها خارج مكة حتى منطقة التقاء مياهها بمياه عين حنين وإيصال ماء عين عرفة إلى منى .

٢- إصلاح قناة عين حنين ، وبعض العيون التي تغذيها.

٣- العناية بأمر قنوات المياه داخل مكة وإيصال الماء إلى مناطق مختلفة من البلد.

أما عن موقف الدولة العثمانية من أعمال لجنة عين زبيدة ، فيمكننا القول بصفة عامة أن الدولة العثمانية على الرغم من ظروفها الإقتصادية الفاسية كانت تمد يد العون للجنة عين زبيدة ، كما كانت تشرف عليها وتتابعها أولاً بأول ، إيماناً منها بالدور العظيم الذي تضطلع به هذه اللجنة أهل مكة و حجيجها . إذ تشير الوثائق والمراجع بعصر السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩)^{١٤٨}. إلى الضائقة المالية التي كانت

تمر بها الدولة العثمانية مما جعلها غير قادرة على إنجاز بعض مشاريع الإصلاح و الترميم المهمة في الحرمين الشريفين لذلك تطلب الأمر صدور إرادة سنيه في جميع الولايات لجمع تبرعات لإصلاح وترميم ما يجب إصلاحه في الحرمين الشريفين كما تبرع السلطان من خزينته الخاصة بثلاثمائة كيس.

عناية العثمانيين بالبرك و الصهاريج :

كانت أولى محاولات العثمانيين في العناية بالبرك على يد مصلح الدين مصطفى ، الذي كان مشرفاً على عمارة قناتي عين عرفة و عين حنين عام ٩٣١هـ/١٥٢٤م. فقد بذل جهوداً كبيراً حتى تم تنظيف وتعمير البرك لخدمة سكان البلد الأمين ، وحجاج بيت

^{١٤٦} أحمد دحلان :مصدر سابق ص ص ٣٢٦٥-٣٢٧

^{١٤٧} السيد الزراوي :مرجع سابق ص ص ٢٥-٢٦

^{١٤٨} محمد المكي :مرجع سابق ص ٦

الله الحرام . وكان من نتائج ذلك أن تدفقت مياه عرفة عبر القنوات إلى برك عرفات^{١٤٩}).

وفي سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أمر السلطان سليمان القانوني مصلح الدين المذكور بتجديد بناء بركة السلم بعد أن تهدمت واندثرت علاماتها . حيث كانت مورداً لحجاج بيت الله الحرام ولسائر الناس .

وأثناء العمارة التي جرت لقناة عين عرفة من الأبطح إلى مكة المكرمة عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م تم للمشرفين على تلك الأعمال بناء بركة لسقي الدواب بجوار سبيل تم إنشاؤه على يمين الصاعد إلى الأبطح^{١٥٠}).

وعندما حج الوزير سنان باشا عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م و شاهد ما يلاقيه المعتمرون من مشقة في سبيل الحصول على ماء الوضوء من التنعيم جهة مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها عمّر بركة بتلك المنطقة . كما أمر بحفر الأرض من عدة طرق لعمل مجاري تستقطب مياه الأمطار و تغذي بها البركة^{١٥١}).

و قد أشار أحد المؤرخين^{١٥٢} إلى الدور الكبير الذي كانت تقوم به بركتنا المصري و الشام في عصره نحو تزويد سكان مكة ، وحجاج بيت الله الحرام بالماء . فقد كانتا تأخذان ماءهما من القناة المارة بقربهما . وغالباً ما كانتا تملآن في شهر رمضان حيث يبدأ قرب وصول الحجاج إلى مكة المكرمة . و يتزايد الطلب على الماء لكثرة الواردين فضلاً عن وجود الكثير من البرك غير المسبله والتي كان يباع منها الماء .

- وفي عام ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م.أمر السلطان محمد خان الرابع بتنظيف برك المعلاة وزيادة ارتفاعها قدر قائمة^{١٥٣}) و إعادة بناء جميع برك عرفات^{١٥٤}، والتي نُظِّفت

^{١٤٩} محمد المحامي: مرجع سابق ص ٥٨٧-٧١٠

^{١٥٠} الحنفي: مصدر سابق ص ٢٨٤-٢٨٥، عبدالكريم القطبي: مصدر سابق ص ١١٠-١١١، العصامي

مصدر سابق ج٤ ص ٨٥، أيوب صبري: مرجع سابق ج٥-٧ ص ٧٣٩-١١٤١

^{١٥١} الحنفي: مصدر سابق ص ٢٢٦

^{١٥٢} أحمد دحلان: مصدر سابق ص ٣٢١-٣٢٢ أيوب صبري: مرجع سابق ج٥-٧ ص ١١١٩ وانظر

ما سبق من هذا البحث

^{١٥٣} الطبري: مصدر سابق ورقة ٤٤

^{١٥٤} ابراهيم رفعت مصدر سابق ج١ ص ٢٢١

وأعيد بناؤها في عهد السلطان أحمد خان الثاني^{١٥٥} (١١٠٢-١١٠٦هـ/١٦٩١-١٦٩٥م)^{١٥٦}.

- وعندما قام محمد بيك حسين باشا بأعماله في قنوات المياه عام ١١٢٤هـ/١٧١٢م ، تم له تجديد بناء بعض البرك كالتالي :

١- منطقة الخطم : جدد فيها بناء بركة باستخدام الطوب في بنائها ثم نقلت جدرانها و جدد طبطابها^{١٥٧}.

٢- رأس الوبر : جدد فيها بناء بركة بطول عشرة أذرع ، وعرض نصف ذراع^{١٥٨} و جدد طبطابها و عمل لها دكة بطول ٨ أذرع ، وعرض ذراع واحد ، وقد ذراع واحد.

٣- رأس البلاط الكبير : تم تجديد بناء بركة بطول ١٢ ذراع و عرض نصف ذراع^{١٥٩}. وعمل للبركة طبطاب بلغت مساحته ٥٦ ذراعاً ، فضلاً عن تنقيط جدارها بطول ١٥ ذراعاً . وقد ذراع واحد.

٤- بالقرب من مسجد المفجر : جدد بناء طبطاب بركة لشرب لحيوان بطول ١٨ ذراعاً ، وقد ذراع واحد .

-وفي عهد السلطان مصطفى خان الثالث (١١٧١-١١٨٧هـ/١٧٥٧-١٧٧٤م) جدد بناء البرك الواقعة بين مكة و المدينة^{١٦٠}.

- ونتيجة للسيول التي اجتاحت مكة المكرمة عام ١٢٠٨هـ/٧٩٣م ، فقد انهدمت بركتنا المصري ، و الشامي فأمر السلطان (سليم الثالث) بإعادة بنائهما مع تنظيف و إصلاح برك عرفة و مجموعة برك أخرى بمكة المكرمة سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م^{١٦١}.

وقد كانت الدولة العثمانية مخصصة مبلغ ٣٠٠٠ قرش ، تصرف سنوياً لتنظيف و تعمير برك عرفة وتأخرت الدولة في دفع ذلك المبلغ عامي

^{١٥٥} محمد المكي : مصدر سابق ص ٣١

^{١٥٦} المصدر السابق ص ٣٢

^{١٥٧} محمد المحامي : مرجع سابق، ص ص ٣٠٦-٣٠٧

^{١٥٨} وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) بارشيف رئاسة الوزراء العثماني

^{١٥٩} الوثيقة السابقة.

^{١٦٠} الوثيقة السابقة.

^{١٦١} محمد المكي : مرجع سابق، ص ٣٢

١٢٢٢هـ، ١٢٢٣هـ/١٨٠٨، ١٨٠٧م مما أدى بأمر مكة^{١٦٢} إلى رفع كتاب للسلطان بطلب ستة آلاف قرش^{١٦٣}).

- وفي عهد السلطان محمود خان الثاني عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م ، تم تعمير بعض برك مكة المكرمة على يد محمد علي باشا والي مصر ، وقام محمد علي باشا بتنفيذ أمر السلطان بعد أن جمع أموال الصرف على العمارة من خزينة مصر ، ومن دار سلك العملة ، ومن جهات أخرى ورفع خبر هذه الأعمال في رسالة للسلطان مؤرخة في ٢٣ ذي الحجة عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م^{١٦٤}).

- وكان من البرك التي اهتم بها محمد علي بتنظيفها وعمارتها في ذلك العام بركة الشام و بركة المصري بالمعلاة بالإضافة إلى عمارة برك لسقيا المواشي عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م وصهاريج عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م^{١٦٥}).

- وفي عهد السلطان عبدالمجيد خان سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م تم ترميم بركة ماجن و برك عرفات^{١٦٦} ، وأثناء عمل لجنة عين زبيدة المعمارية في قنوات مياه العيون التي بدأت عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م وأصلحت و أنشئت مجموعة من البرك و الصهاريج كالاتي :

١- تنظيف و تجديد بناء جميع برك عرفات^{١٦٧}.

٢- إنشاء برك لسقيا المواشي ، تغذي بالمياه بواسطة قنوات فرعية تأخذ مياهها من القناة الرئيسية^{١٦٨} و يشرف على ذلك مسئولون ينقلونه إليها من فتحات على القناة .

٣- إنشاء بركة بقرب مسجد مزدلفة ، تتغذى بالمياه من قناة عين عرفة و من عين قريبة منها^{١٦٩}

٤- إنشاء بركتين بكل منهما نافورة جهة باب الصفا ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية الشرقية وتستمدان ماءهما من صهاريج ماء في التكية المصرية بواسطة مواشير من رصاص^{١٧٠}).

^{١٦٢} وثيقة رقم ١٠٧١٧ كرتون ٤٧/٢٦٦ تصنيف خط الهايمون بارشيف رئاسة الوزراء العثماني.

^{١٦٣} انظر اعماله في كتاب أحمد دحلان :مرجع سابق، ص ٢٥٩.

^{١٦٤} وثيقة رقم ٢/١-٢٤٤ بارشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض

^{١٦٥} وثيقة رقم ١/٥-١٧٠ بارشيف دارة الملك عبدالعزيز بالرياض

^{١٦٦} نقلا عن وثيقة نشرتها فوزية مطر :مرجع سابق، ص ٤٤٧.

^{١٦٧} محمد المكي :مرجع سابق ص ٤٣.

^{١٦٨} أيوب صبري :مرجع سابق، ج٥-٧ ص ٥٧٤ ،وثيقة رقم ٤٦٥٩، ص ١٦، بمكتبة جامعة استانبول.

^{١٦٩} المرجع السابق ص ٧٥٥.

٥- إنشاء خمسة عشر صهريجاً داخل مكة المكرمة لتكون مورداً يشرب منه الناس كما يحفظون بها الماء للاستفادة منه وقت انقطاع مياه العيون^(١٧١).

و يشير أحد المؤرخين في حجته إلى أن ناصر باشا ابن الشريف عبدالمطلب أمير مكة سابقاً طلب منه رفع رسالة إلى خديوي مصر للتبرع لإنشاء صهريج بمنى ، يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل ، وقد صدر الأمر بإنفاق ٨٠٠٠ جنيه مصري لتشييد مخزن كبير في منى يملأ بالماء^(١٧٢).

عناية العثمانيين بالأسبله :

و يمكن تقسيم عناية العثمانيين بالأسبله إلى قسمين :

- ١- العناية بالأسبله السابقة لعصرهم .
- ٢- إنشاء أسبله جديدة و صيانتها و ترميمه

عناية العثمانيين بالأسبله السابقة لعصرهم :

ظلت مجموعة الأسبله التي أنشئت قبل العصر العثماني تؤدي دورها في هذا العصر ، فمنها سبيل بجوار باب الباسطيه^(١٧٣) . و سبيل الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون باب إبراهيم. الذي أعيد بناؤه عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م^(١٧٤) و سبيل كان يقع أمام الكعبة و يأخذ ماءه من بئر زمزم فجدد بناءه السلطان مراد الثالث عام ٩٨٥هـ/١٥٧٧م^(١٧٥) . و سبيل الملك المؤيد الملاصق لبئر زمزم ، وقد تم تبييضه من الداخل و الخارج عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م^(١٧٦).

^{١٧٠} المرجع السابق نفس الصفحة.

^{١٧١} المرجع السابق ص ٧٥٦-٧٥٨.

^{١٧٢} أيوب صبري :مرجع سابق ،ص ص ٧٥٦،-٧٥٧ وثيقة رقم ٤٦٥٩ ،بمكتبة جامعة استانبول ص ٢٥-٢٤-٢٢-١٩

^{١٧٣} إبراهيم رفعت :مصدر سابق ج١ ص ٣٧.

^{١٧٤} احد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية و ينسب بناء السبيل الى عبدالباسط ناظر الجيش في دولة الملك الأشرف برسباي لأنه عمر بجواره مدرسة للفقراء انظر حسين باسلامة، مرجع سابق ،ص ١٢٩-١٣٠

^{١٧٥} حسين باسلامة، مرجع سابق، ص ٦٥.

^{١٧٦} لقد انشأ مبنى السبيل السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٣هـ ثم قام بعمل اصلاحات به انظر ايوب صبري، مرجع سابق، ص ٩٩١

كما اهتم العثمانيون بسقاية العباس^{١٧٧} وذلك ترميمها و إعادة بنائها في سنين مختلفة . فقد قاموا فيما بين عام ١٠٣٨هـ - ١٠٤٠هـ / ١٦٢٨ - ١٦٣٠م) بإصلاح بابها . وفي عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م اهتم إبراهيم بك سنجق جدة بعرض أحوال هذه السقاية و ما حدث من خراب على دار السلطنة ، فصدرت الأوامر بإعادة بنائها ، وفي عام ١١٢٦هـ / ١٧١٤م جدد الوزير حسين باشا حال وصوله إلى مكة من اليمن سقاية العباس بالنورة و أحدث فيها دكة^(١٧٨).

وفي عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ورد مكتوب من السلطنة إلى أمير مكة عبدالله بن محمد بن عون . بأنه ورد للدولة خبر بأن قبة سقاية العباس تمنع الناس من مشاهدة الكعبة المشرفة فعقد أمير مكة مجلساً في بيته بالغزه جمع فيه العلماء .

وشاورهم في أمرهم في هدم قبة سقاية العباس وأن يعمل موضعها قبة صغيرة على أربعة أعمدة فيها حوض باسم مولانا السلطان . وفي يوم الجمعة ١٢ صفر عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م في عهد السلطان عبدالحميد خان بدأ العمل في هدم سقاية العباس بحضور أمير مكة عون الرفيق باشا و والي الحجاز عثمان نوري باشا^(١٧٩).

إنشاء أسبله جديدة و صيانتها و ترميمها :

- في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م)^{١٨٠} تم بناء سبيلين بمكة باسمه الأول يقع بجوار سور باب المعلاه ، و يستمد مياهه من قناة عين عرفة و عين حنين وقد بناها مصلح الدين مصطفى الذي قام بإصلاح قناتي عين عرفة و عين حنين عام ٩٣١هـ / ١٥٢٤م و أصلح بركة السلم عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م غير أن هذا السبيل انهدم و لم يعد له وجود على عهد الصباغ المكي (١٢٤٣-١٣٢١هـ / ١٨٢٧-١٩٠٣م)^{١٨١} والسبيل الثاني يقع بالقرب من المروة يستمد مياهه من قناة الماء المتجهة

^{١٧٧} محمد الصديقي: أبناء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد ورقة ٢١-٢٢ مخطوط مصور بالميكرو فيلم من دار الكتب الظاهرية برقم (١٨٤٢) مركز البحث العلمي جامعة ام القرى ^{١٧٨} يطلق بعض المؤرخين على سقاية العباس كلمة السبيل انظر محمد الصديقي مرجع سابق ورقة

٢٢-٢١

^{١٧٩} الصباغ المكي: مصدر سابق ورقة ٧٠

^{١٨٠} المصدر السابق ورقة ٦٩ يذكر كل من حسين باسلامة مرجع سابق ص ١٩٣-١٩٨ و محققا كتاب عبدالكريم القطبي مصدر سابق ص ١٤٤ حاشية رقم ٢ ان ازالة قبة سقاية العباس كان عام ١٣٠١هـ، ١٨٨٣م

^{١٨١} محمد المحامي: مرجع سابق ص ١٩٧-٢٥١

إلى بركة ماجن وقد كان له دور كبير في تزويد الناس بالماء عام ١٢٣٠هـ/١٨١٤م ، حيث كان الحجاج يتزاحمون حوله طوال الليل و النهار لملء قريهم بالماء.

وأثناء العمارة التي جرت لقناة عرفة من الأبطح إلى مكة المكرمة عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م على يد الأمير أحمد بك و المعمار محمد جاويش الديوان العالي تم للعثمانيين بناء مجموعة أسيلة لخدمة سكان بلد الله الحرام و الحجاج هي^{١٨٢}

١- بناء قبة مقسم بالأبطح ، رُكِّب في جدرانها بزابير من نحاس ليشرَب منها الناس^{١٨٣}).

٢- سبيل في نهاية سوق المعلاه على يسار الخارج منه إلى الأبطح^{١٨٤}.

٣- سبيل على يمين الصاعد إلى الأبطح بعد بستان المرحومة خاصكي سلطان^{١٨٥}).

وفي عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م في عهد السلطان سليم الثاني^{١٨٦} قام الوزير سنان باشا بإنشاء سبيل بالتنعيم ، أجرى إليه الماء من بئر بعيدة بواسطة قناة مبنية بينهما بالجص و النورة و عيّن خادماً يسقي من البئر و يصب في القناة ، فيصل الماء إلى السبيل ليشرَب و يتوضأ منه المعتمرون و عيّن مصاريِف ذلك من ريع أوقاف له بمصر^{١٨٧}).

وتشير وثيقة مؤرخة باليوم الأول من شهر جماد الأول عام ٩٩١هـ/١٥٨٣م إلى قيام والده ولي العهد محمد بن السلطان مراد بعمارة سبيل بطريق العمرة^{١٨٨}).

ومن خيرات السلطان مراد الثالث أمره لأحد خَدَمَة مصطفى جاويش الذي وصل مكة ٩٩٤هـ/١٥٨٥م بعمارة سبيل على يسار الخارج من باب الصفا ليشرَب منه الناس وتمت هذه العمارة عام ٩٩٥هـ/١٥٨٦م بعد أن صرف فيها مع بعض عمائر أخرى مبلغ عشرين ألف دينار ، ثم عمل مصطفى جاويش على بناء مجموعة من البيوت جعلها أوقافاً يصرف من ريعها على السبيل ، وعلى موظفين عينوا لكنس مكان أنشئ خارج المسجد كماوى للفقراء^{١٨٩}).

^{١٨٢} محمد المكي :مصدر سابق ورقة ١١٩

^{١٨٣} الحنفي :مصدر سابق :ص٢٢٦

^{١٨٤} المصدر السابق نفس الصفحة والطبري :مصدر سابق ج١ ورقة ٢٥٣

^{١٨٥} الحنفي :مصدر سابق ص ٢٢٦

^{١٨٦} المصدر السابق نفس الصفحة

^{١٨٧} مؤلف مجهول :سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ورقة ٤٠-٥٣ في حين يشير على

السنجاوي:مصدر سابق ج٢ ورقة ١١٧ أن بناء الوزير سنان باشا للسبيل كان عام ٩٨١هـ

^{١٨٨} الحنفي :مصدر سابق ص٢٠٥-٢٠٦-٢٠٨ سلوك سبيل الرشاد ورقو ٤٠-٥٣ وعلي السنجاوي

مصدر سابق ج٢ ورقة ١١٧

^{١٨٩} وثيقة بدفتر المهنة رقم ٤٩ ص٦٦ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

وفي عام ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م تم إصلاح مجموعة من الأسبله بمكة المكرمة . كما أنشأ الشريف زيد عام ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م سبيلاً بدارة^{١٩٠}.

وإضافة إلى ذلك فقد عدد لنا أحد المؤرخين بعض الأسبله التي يرجح أنها بُنيت في القرن العاشر و الحادي عشر الهجري كما يلي :

- سبيل يُعرف بسبيل الخاصكيه^{١٩١} بجوار مبنى بئر زمزم في المسجد الحرام ، سبيل الأغوات ، سبيل الخاصكيه برباطها ، سبيل الخواجا شمس الدين بن الزمن ، سبيل كاتم السر ، سبيل الأغا بهرام ، سبيل الظهره ، سبيل الشريف أبي نمي ، سبيل علي بن أحمد بن أبي نمي ، سبيل في الدرويشه الجديدة ، سبيل عند مدفن الشيخ محمود ، سبيل الخاص بالسوق الصغير ، سبيل البلقين ، أسبله بمنى و طريقها ، سبيل بطريق التنعيم^{١٩٢}.

- وفي عهد السلطان محمود خان الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨م) أنشئ سبيل إلى جوار بئر في شمال مكة ، بقرب مسجد كان مجاوراً لتربة السيدة ميمونة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم^{١٩٤}.

- وفي عهد السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م تم إعادة بناء الأسبله الواقعة قرب مسجد العمرة ، على حدود حرم مكة من الجهة الشمالية ، و ترميم الأسبله الواقعة بالصفاء بمكة^{١٩٥}.

- وفي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م تم إنشاء سبيل على حدود حرم مكة من الجهة الغربية^{١٩٦}

^{١٩٠} القطبي : : عبد الكريم بن محب الدين(ت١٠١٤هـ)، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق أحمد محمد جمال وآخرون، ط١، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٧٣، هذا وقد أشار محمد الفعر :مرجع سابق، ص٤٢٥-٤٢٦ ،الى ان السلطان مراد انشأ سبيلاً آخر ملاصقا لجدار مدرسة السلطان قاتيباي بالجانب الشرقي من المسجد الحرام لكن بالرجوع الى المصادر التي استقى منها معلوماته اتضح ان الذي انشأه هو حنفية للوضوء وليس سبيلاً، وكذلك القطبي: المرجع السابق، ص ٣٠ ،حسين باسلامة: مرجع سابق ص ٩٧ ،أحمد السباعي، تاريخ مكة، ج٢، ط٢، مطابع دار قريش، ١٣٨٢م، ص٤٧٧.

^{١٩١} الطبري :مصدر سابق ورقة ٣٤-٣٥

^{١٩٢} ورد اسم هذا السبيل ايضا باسم "سبيل الخاصكي " القطبي :مصدر سابق ص١٤٤

^{١٩٣} الطبري :مصدر سابق ورقة ٣٤-٣٥

^{١٩٤} محمد المحامي : مرجع سابق ص ٣٩٧-٥٤٤

^{١٩٥} محمد المكي :مرجع سابق ص٣٦

^{١٩٦} المرجع السابق ص٣٣

- وفي عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م بنى أحد الهنود بطريق التنعيم قريبا من الشهداء سبيلا إضافة إلى قيام الشريف عبدالله أمير مكة ببناء سبيل آخر ، وفي سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م بنى أحد الهنود سبيلا بقرب بئر حفرها الشيخ محمود^{١٩٧} .

- كما اهتمت لجنة عين زبيدة بعد تأسيسها عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، بإنشاء مجموعة من الأسبلة في كافة أحياء مكة المكرمة .

- كما تم في نهاية العصر العثماني إنشاء سبيل البز الذي كان يحلي واجهته نقش كتابي ورد فيه أن الملك عبدالعزيز آل سعود أمر بتجديد بناء هذا السبيل عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م ، مما يجعلنا نرجح أن هذا السبيل قد أنشئ في نهاية العصر العثماني .

عناية العثمانيين بالبازانات :

لم تتضمن المصادر العربية أخبار عن عناية العثمانيين بالبازانات^{١٩٨} مما دفعني إلى البحث عن مصادر أخرى بغير العربية . لعلها تحمل لي من المعلومات ما يساعدنا في الوصول إلى المزيد من المعرفة في هذا النوع من المنشآت الهامة لمدينة المشاعر المقدسة التي يقصدها حجاج العالم الإسلامي .

وقد وقعت عن مادة غزيرة تبين الدور العثماني لخدمة مكة المكرمة في أمور كثيرة ، وخاصة في ميدان العناية بالبازانات . ويمكن تقسيم عناية العثمانيين بالبازانات على مرحلتين كالتالي :

المرحلة الأولى :كانت فيما بين عمي ١١٢٤-١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣م^{١٩٩} .

المرحلة الثانية :كانت بعد تأسيس لجنة عين زبيدة عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م^{٢٠٠}

- عن المرحلة الأولى فقد تم خلالها ترميم وإعادة بناء مجموعة من البازانات و الخرزات التي كانت تقوم مقام البازانات و منها :

^{١٩٧} إبراهيم رفعت :مصدر سابق ج١ ص٢٨

^{١٩٨} محمد المكي :مصدر سابق ورقة ١٦٠

^{١٩٩} على سبيل المثال :الحنفي :مصدر سابق ،القطبي:مصدر سابق ،العصامي:مصدر سابق ، الطبري:مصدر سابق ، علي الطبري :مصدر سابق ،ومحمد الصباغ المكي مصدر سابق والسيد الزواوي : مرجع سابق ،إبراهيم رفعت :المصدر السابق .

^{٢٠٠} سبق أن بينا جهود العثمانيين في هذه الفترة من البحث على يد محمد بك باشا في الاهتمام بالعيون و قنواتها والبرك :انظر :ما سبق من البحث

١- بازان مزدلفة الكبير قرب المشعر الحرام . ولقد شملت أعمال العمارة به عدة إصلاحات من ترميم وإعادة بناء و تنقيل في جوانبه الأربعة وفي ساقيته إضافة إلى عمل طبطاب^{٢٠١}.

٢- بازان مزدلفة الصغير : رمم به جدار بطول ٣٠ ذراعاً ، وقد ٥ أذرع هذا فضلاً عن تجديد بناء ثلاث قطع أسفل البازان^{٢٠٢} بطول ١٠ أذرع و عرض ذراع واحد ، وقد ٤ أذرع ثم نقل ذلك كله بطول ٤٠ ذراعاً . و رمرت به درجة ونقلت بطول ١٨ ذراعاً و قد ذراعين .

٣- بازان الرصف في طريق منى : ويحتوي هذا البازان على ٧٤ درجة و شملت أعمال الإصلاح به تجديد وترميم و تنقيل بعض درجه ، و تجديد دكه به ، و تجديد بناء جوانبه من الجهات الأربع^{٢٠٣} . التي كان طول دائر محيطها ٦٣ ذراعاً . وقد ٣ أذرع و عرض ذراع واحد ، ثم نقلت جدران البازان من الداخل و الخارج و جُدِّد و نُقل كُبَش باب البازان .

٤- بازان الصفا : جدد بناء جدار في أسفل و أعلى البازان ثم نقل من الداخل و الخارج و جدد بناء جدار لرد السيل من البازان^{٢٠٤} . بطول ٢٥ ذراعاً و عرض واحد وسدس الذراع ، وقد اثنان و نصف الذراع ، ثم نقل من الجهتين .

٥- بازان رباط التكارنه : جدد له درجه و جدار في أسفله و عمل له طبطاب .

٦- بازان المسفله: شملت أعمال الإصلاح به ، ترميم و تنقيل جوانبه من الداخل و الخارج . كما تم ترميم بناء جدارين على جانبي الدرج^(٢٠٥).

٧- بازان الأغوات : تم في شهر رجب عام ١١٢٤هـ/١٧١٢م إجراء تعمیر وإصلاح في بازان الأغوات ، الذي هو من خيرات السلطان سليمان ، شملت تنقيل البازان و تجديد بناء درج خارج بابيه ، مما أدى إلى ارتفاع مستوى الباب عن مستوى الأرض كي يسهل حمايته من عوادي السيول^(٢٠٦).

^{٢٠١} سبق وأن أوضحت عناية لجنة عين زبيدة في العناية بالعيون وقنواتها والبرك: انظر ما سبق من

البحث

^{٢٠٢} وثيقة رقم ٦١٧٦ ص ١-١٠ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{٢٠٣} الوثيقة السابقة ص ١٢

^{٢٠٤} الوثيقة السابقة ص ١٣

^{٢٠٥} وثيقة رقم ٦١٧٦ ص ١٣ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول

^{٢٠٦} وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١٣ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني

٨- تنظيف بازان المسفلة .

٩- تنظيف بازان اليمن بالمسفلة .

هذا فضلا عن الأعمال التي قام بها محمد بيك باشا بأمر من السلطان أحمد خان ، فيما بين عامي ١١٢٤-١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣م بتجديد بناء و تعمير جميع البازانات داخل مكة المشرفة وخارجها مما يحتاجه حجاج المسلمين و عامة المقيمين بهذا البلد الأمين .

عناية العثمانيين بالخرزات التي تقوم مقام البازانات :

يطلق عليها كلمة الموارد . وقد تم تجديد بناء و تعمير جميع الموارد على يد محمد بيك بن حسين باشا ، فيما بين عامي ١١٢٤-١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣م و التي منها :

- قبة المقسم بالمعابدة .

- موردة بئر أبي ديه .

- موردة سوق الليل قرب مولد النبي -صلى الله عليه وسلم-

- موردة الشيخ المتوكل مقابل حمام النبي -صلى الله عليه وسلم-

- خرزة السوق الصغير عند حوش الأغوات^(٢٠٧) .

المرحلة الثانية : العناية بالبازانات من قِبَل لجنة عين زبيدة :

كان من أهم العوامل التي حفّزت لجنة عين زبيدة . بعد أن شكّلت عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م على العناية بالبازانات و الموارد ما كان يعانيه الناس من مشقة في سبيل الحصول على الماء ، بسبب تدهم بعض البازانات القديمة ،

واستيلاء بعض الناس عليها و على بعض الموارد واستغلالها باحتكار الماء ، إضافة إلى اتساع مدينة مكة المكرمة ، كل ذلك كان دافعاً على إنشاء بازانات جديدة في مواضع مختلفة من البلد لسد احتياجات السكان^{٢٠٨} ، ونتيجة لذلك فقد اهتمت اللجنة بالعناية

بالبازانات القديمة ، وإنشاء مجموعة من البازانات في مناطق مختلفة من البلد ليسهل على جميع السكان الحصول على الماء بكل سهولة وكانت أعمالها منذ بدء العمل عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م كالتالي :

١- بازان المروة : كان يوجد فوقه حوض طوله ٤ م ، إلا أنه لم يكن يفي باحتياجات السكان ، لازدحام الناس حوله . وتضايقهم خصوصا في موسم الحج لذلك عملت اللجنة

^{٢٠٧} وثيقة رقم ٦١٧٦ ص ٣ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني
^{٢٠٨} وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١٣ بأرشفيف رئاسة الوزراء العثماني

على إعادة بناء هذا البازان بشكل أكبر مما كان عليه . و بنت في جهتيه أحواضاً جديدة للمياه^{٢٠٩}.

٢- هدم بازان العمرة : وإعادة بنائه بصورة مكّنت الناس من الاستفادة منه^{٢١٠}.

٣- أنشأت لجنة عين زبيدة ، مجموعة من البازانات الجديدة في طريق عرفة ، و بين عرفة ومزدلفة ، في منتصف الطريق ، وفي مزدلفة ، وتتصف هذه البازانات بفخامتها . وكان يستفيد منها المارون خصوصاً حجاج بيت الله الحرام^(٢١١).

٤- أنشأت اللجنة مجموعة من البازانات داخل البلد الأمين هي : بازان شعب عامر ، بازان شعب بني هاشم ، بازان القشاشيه ، بازان سوق الليل ، بازان التماره بسوق المعلاه ، بازان الشاميه ، بازان الشبيكة ، بازان حارة الباب ، بازان جرول ، بازان في ميدان أبي بكر الصديق ، بازان أجياد ، بازان العساكر بأجياد^(٢١٢).

عناية العثمانيين بالحمامات :

كان عدد الحمامات بمكة المشرفة في القرن التاسع الهجري ثلاثة فقط ، وقد أشار أحد المؤرخين إلى حمامين منها بقوله : "حمامين أحدهما لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المري بأجياد وقفه على رباطه بالمروة و الآخر لا أعرف من ينسب إليه و لعله الحمام الذي بناه الجواد وزير صاحب الموصل^(٢١٣) ، أما الحمام الثالث فينسب للسلطان قايتباي الذي حج عام ٨٨٤هـ/١٤٧٩م^(٢١٤).

وفي حدود عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م أمر الوزير محمد باشا ، ببناء حمام في وسط البلد^(٢١٥). ويحدثنا أحد المؤرخين عن جهود العثمانيين في العناية بالحمامات بأنه لم يكن في مكة إلا حمامان أحدهما بالقرب من الشبيكة و يُعرف باسم الوزير محمد باشا ، والثاني بسوق الليل قريباً من البئر المشهور ببئر الشيخ ، وكان إلى جانب هذا الحمام حمام معروف بحمام النبي و لم يُعرف وجه الإضافة ، إلا أنه خُرب و دُمّر . وكان بسوق الليل حمام آخر يعرف بحمام قلبه بفتح القاف و اللام خُرب و دُمّر أيضاً و كذلك كان

^{٢٠٩} نفس الوثيقة السابقة

^{٢١٠} وثيقة رقم ٦١٧٦ (MAD) ص ١٣ بارشيف رئاسة الوزراء العثماني

^{٢١١} نفس الوثيقة رقم ٢٤

^{٢١٢} الوثيقة السابقة ص ١٥-١٧

^{٢١٣} الوثيقة السابقة ص ١٩-٢٠-٢٢-٢٥ ، والزواوي : مرجع سابق :ص ٢٦ ، إبراهيم رفعت : مصدر

سابق، ج١، ص ٢٢٢

^{٢١٤} تقي الدين الفاس :شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ج١ ، ص ٢٠

^{٢١٥} علي الطبري :مصدر سابق ،ورقة ٤٥

للسلطان قايتباي حمام صغير تحت جدار ربعه بالسوق الكبير إلا أنه لم يستعمل في هذه الأزمان القريبة^{٢١٦}).

و قد استمر دور كل من حمام الليل و حمام الوزير محمد باشا في خدمة مكة المشرفة إلى عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، حيث هدم حمام الوزير محمد باشا ، لصالح مشروع توسعة المسجد الحرام^{٢١٧} ، أما حمام سوق الليل فإن معظم مبانيه لا تزال قائمة حتى الآن . و ربما يرجع تاريخ بنائه إلى نهاية القرن العاشر الهجري ، وبداية القرن الحادي عشر الهجري . و يشير أحد المؤرخين^{٢١٨} ، (١٢٤٣-١٣٢١هـ/١٨٢٧-١٩٠٣) إلى هذين الحمامين بقوله : "وأما في زماننا فلم يكن بها إلا حمامين حمام في باب العمرة بناه محمد باشا . . سنة تسعمائة و أربعة و ثمانين . . و الآخر في القشاشية " .

عناية العثمانيين بالمبىضات (حنفيات الوضوء)^{٢١٩}

اتبع العثمانيون نفس سياسة من سبقوهم ، في العناية بالمبىضات . فقاموا بإصلاح القديم منها و رتبوا لها البوابين و أنشأوا مبىضات جديدة ، لتفي باحتياجات السكان و حجاج بيت الله الحرام المتزايدة .

ففي أول سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م جدد الأمير مصلح الدين الرومي مبىضاه و أنشأ السلطان مراد بن سليم مبىضتين بمكة المشرفة . كانت الأولى عام ٩٩٥هـ/١٥٨٦م . تحت سبيله ، الواقع على يسار الخارج من باب الصفا ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية الشرقية ، والمبىضة الأخرى لصق في جدار مدرسة السلطان قايتباي ، بالقرب من باب السلام ، أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشرقية.

إلا أن حنفية السلطان مراد بالصفا قد انمحي إثرها و أعيد بناؤها فيما بعد ، وظلت تؤدي دورها إلى عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م . و يظهر ذلك بالنظر إلى ما أورده لنا كل من الطبري ، حسين باسلامة.

وفي عام ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م أنشأ أمير مكة الشريف زيد بن محسن بن حسين مبىضة تحت دار بأجياد^{٢٢٠} . هذا وقد استمرت مجموعة من المبىضات التي أنشئت قبل

^{٢١٦} الحنفي : المصدر السابق، ص ٢٦٠.

^{٢١٧} علي الطبري :مصدر سابق، ورقة ٤٥.

^{٢١٨} صرف لمديرية الأوقاف مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ ريال تعويضا عن الحمام .انظر صك شرعي صدر بمحكمة مكة المكرمة رقم (٩٧٥) و تاريخ ١٣٨٢/٣/١٨هـ

^{٢١٩} محمد بن أحمد المكي :مصدر سابق ورقة ١١٩

^{٢٢٠} شاع استخدام هذا الكلمة في العصر العثماني

العصر العثماني تؤدي دورها في هذا العصر . وفي ذي الحجة عام ١١٣٣هـ/١٧٢٠م ، قدم من مصر إلى مكة معمار ، معه أموال لإنشاء بعض العمارات بمكة . فأعطى الشيخ سالم بن عبدالله البصري^{٢٢١} مبلغاً من المال لعمارة ميضاه بجوار مسجد الإجابة فعمل الشيخ سالم البصري على بناء الميضاه عام ١١٣٤هـ/١٧٢١م^{٢٢٢} وفي عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م عهد السلطان عبد المجيد خان عمّر حسيب باشا^{٢٢٣}، ميضاه بالقرب من شارع المسعى^{٢٢٤} في عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م ، أنشأت أسماء بنت أحمد أفندي الصديقي ميضاه بالنقا إلى مسجد ، ومكتب تعليم أطفال^{٢٢٥}).

وبعد أن بدأت لجنة عين زبيدة عملها أدركت أن الميضاه التي بالقرب من بازار المروة والتي عملت على ترميمها . وأمدتها بالماء عبر قناة من البازار المذكور ، والتي كانت من عمل سلاطين آل عثمان الذين أوقفوا عليها بعض الأوقاف ليصرف من ريعها ناظر الوقف كان يؤجرها سنوياً ، مما أدى بالمستأجر إلى نقل الماء من بازار المروه إلى الميضاه ، بواسطة السقائين ، وبهذا أخذ المستأجر يتقاضى أجراً معلوماً مقابل الوضوء .

كما لاحظ أعضاء اللجنة وجود ميضاه بتكيه محمد علي باشا . كان يتم نقل الماء إليها بواسطة السقائين من بعض خزرات القناة المارة بقرب ذلك الموضع الأمر الذي يؤدي في أغلب الأحيان إلى عدم كفاية الماء . لذلك عملت اللجنة على إيصال الماء إلى الميضاه عن طريق مواسير فخارية^{٢٢٦}

عناية العثمانيين بإنشاء السدود و مجاري تصريف المياه :

استمر العثمانيون على نهج من سبقوهم في العناية بتأمين مكة المكرمة من عوادي السيول بإنشاء السدود و إنشاء مجار لتصريف مياه السيول تمتد من شمال غرب المسجد الحرام ، إلى خارج مكة جهة الجنوب ، بالإضافة إلى الاستفادة من هذه المجاري ، بإنشاء شبكة لتصريف المياه المستعملة و ربطها بهذه المجاري . ولكي ندرك

^{٢٢١} الطبري :مصدر سابق ج٢ ورقة ٣٠ ،محمد المكي :مصدر سابق ورقة ١٥٨

^{٢٢٢} كان إماماً محدثاً في الحرمين الشريفين توفي عام ١١٦٠هـ

^{٢٢٣} الطبري : مصدر سابق ج٣ ، ورقة ٦٦-٧٦

^{٢٢٤} كان يشغل منصب والي الحجاز من آخر سنة ١٢٦٤هـ إلى شوال سنة ١٢٦٦هـ انظر أحمد دحلان

مصدر سابق ص ٣١٥

^{٢٢٥} محمد المكي :مصدر سابق ورقة ١٥٨

^{٢٢٦} حجة شرعية صدرت بمحكمة مكة المكرمة برقم ، في ٢٩/١١/١٣٢٧هـ

أهمية تلك الجهود ، فإن من الأفضل عرض أمثلة لأخطار السيول على مكة المشرفة في العصر العثماني . حتى يمكننا تقدير أسلوبهم لمعالجتهم تلك الأخطار .

اجتاحت مكة المكرمة سيول في أعوام مختلفة سجلها المؤرخون^{٢٢٧} و كان من أهمها سيل دهم مكة المشرفة عام ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م . تسبب في موت أعداد كبيرة من الناس و هدم الكعبة^{٢٢٨} و منها سيل حدث عام ١٠٩١هـ/١٦٨٠م كان من نتيجته خراب أكثر بيوت مكة خصوصا ما كان منها بسوق الليل و الأطراف المنحدرة و المسجد الحرام و بلغ ارتفاع الماء نصف الكعبة^{٢٢٩} .

وفي عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م اجتاح مكة سيل عظيم ، يحدثنا عن آثاره أحد المؤرخين الذي حج في ذلك العام بقوله " وفي يوم السبت ٢١ ذي الحجة من سنة ١٣٢٥هـ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨م) في حجتي الرابعة نزل مطر شديد و جرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثيل منذ ٣٣ سنة على ما بلغني ، وكان السيل أشبه بماء النيل المنحدر وكان عرضه وهو ينحدر من جبال جباد نحو ٥٠ متراً . . و قد ملأ الشوارع حتى كان عمقه في شارع وادي إبراهيم مترين تقريبا ، ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه وانقطع المرور من الطرق إلا بالسباحة . وكنت ترى الشقاف و رحال الإبل سابحة في الماء و تسمع دويًا للماء كأنك أمام القناطر الخيرية و قد فتحت عيونها^{٢٣٠}

ولقد تنوعت أعمال العثمانيين لدرء أخطار السيول ما بين سدود أنشئت لحماية مكة المشرفة و سدود أنشئت لحماية قنوات المياه و خزاناتها . ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

أولا : إنشاء السدود لحماية مكة المشرفة :

أنشئ سد الأبطح و سد بأجباد و أصلح سد عند ملتقى قناة عين عرفة بقناة عين حنين . ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا التوع من السدود نعرض لكل سد من هذه السدود على انفراد :

^{٢٢٧} وثيقة رقم ٤٦٥٩ ، ص ٢٢، ٢١ ، بمكتبة جامعة اسطنبول ، أيوب صبري : مرجع سابق ، ج٥ ص ٧٥٦-٧٥٨ .

^{٢٢٨} علي الطبري : مصدر سابق ، ورقة ٥٦-٥٩ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٩-٢٠٠ ، محمد طاهر الكردي : مرجع سابق ج٢، ص ١٩٧-١٩٩ ، أبو الوليد الأزرقى : مصدر سابق ، ملحق رقم ٢ .

^{٢٢٩} إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، ج١ ، صص ١٩٩-٢٠٠ ، محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ج١ ، ص ١٩٨ أبو الوليد الأزرقى : المصدر السابق ، ملحق رقم ٣ ص ٣٢١

^{٢٣٠} إبراهيم رفعت : المصدر السابق ج١، ص ٢٠٠ : محمد طاهر الكردي : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٩٨ ، أبو الوليد الأزرقى : المصدر السابق ، ملحق رقم ٣ ، ص ٣٢٣ .

- سد الأبطح :

ينسب للأمير خشقكدي سنجق جدة من عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م إلى عام ٩٥١هـ/١٥٤٤م اسهامه في إعادة بناء هذا السد^{٢٣١} . وكان للسيول تأثير كبير على بناء هذا السد منها سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م حيث جاء عنها " وتلمت (نقضت) السيول خمسة مواضع من سد الأمير خشقكدي^{٢٣٢} " .

ومنها سنة ١٠٣٩هـ/١٦٣٩م حيث ورد عنها " أنه في يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان من سنة تسع و ثلاثين و ألف . . أقبل السيل من سائر النواحي وتلم السد الذي يلي جبل حراء المسمى جبل النور ثلثة كبيرة و علا عليه فدخل المسجد^{٢٣٣})، ونتيجة للسيول التي اجتاحت مكة المكرمة عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م انهدم هذا السد فأعاد بناءه السلطان سيلم الثالث عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م^{٢٣٤} .

- سد أجياد :

يقول أحد المؤرخين : أن هذا السد قديم جداً موجود بأجياد و يسمى سد أجياد ، و هو سد معروف عُمل في سفح الجبل . ليرد السيل النازل منه إلى الشارع العام ، ولولا هذا السد . لكان السيل قويا من هذه الجهة . ثم يقول : لا ندري متى بُني هذا السد . ونظن أن بناءه يرجع إلى مائة سنة أو مائتين و الله تعالى أعلم^{٢٣٥} .

و بالرجوع إلى صاحب مخطوط أبناء الجليل المؤيد مراد خان ، ببناء بيت الوهاب الجواد ، أمكن تحديد العام الذي حفر فيه أساس بناء هذا السد و هو عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م^{٢٣٦}

بناء السدود لحماية قنوات المياه من أخطار السيول :

^{٢٣١} إبراهيم رفعت : مصدر سابق ج١ ، ص٢٠٠ .
^{٢٣٢} ابن فرج : عبدالقادر بن أحمد (ت١٠١٠هـ/١٦٠٢م) . السلاح و العدة في تاريخ بندر جدة ، تحقيق و دراسة أحمد بن عمر الزيلعي و ريكس سميث (د.ت) ص ص٣٩-٤٠ ، محمد طاهر الكردي : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٠٦
^{٢٣٣} عبدالقادر الجزيري ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص١١٣٨
^{٢٣٤} عبدالملك العصامي ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص٤٢٨
^{٢٣٥} وثيقة رقم ١٠٧١٧ كرتون ٤٧/٢٦٦ تصنيف خط الهمايون ، أرشيف رئاسة الوزراء العثماني بإستانبول
^{٢٣٦} محمد طاهر الكردي : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٠٦

ولمواجهة الأضرار الناجمة من أخطار السيول المتتالية على قناة عين عرفة بوادي نعمان في أعوام ١٠٨٩هـ/١٦٧٨ ، ١٠٩٠هـ/١٦٧٩ م ، ١٠٩٢هـ/١٦٨١م فقد عمل محمد أعامير ياخور ، بأمر من السلطان محمد بن إبراهيم عام ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م . على بناء سد بوادي نعمان ليمنع طغيان مياه السيول على القناة و خرزاتها و أثناء الأعمال المعمارية التي تمت لقنوات المياه عام ١١٢٤هـ/١١٢٥هـ-١٧١٢-١٧١٣م تم إنشاء مجموعة سدود ، في مناطق مختلفة لحماية القناة و خرزاتها من تأثير السيول على النحو التالي :

١- تم دك قطعة أرض في مجرى السيل بوادي المفجر بطول ١٢ ذراعا و عُرض ذراعين ، وقد نصف ذراع ، ثم عمل عليها جدار صغير ، لرد السيل بطول ٤ أذرع و عرض ذراع واحد و قد ذراع واحد .

٢- جدد بناء سد برأس البلاط الكبير لحماية القناة من تأثير السيول و ذلك ببنائه بطول ٣٢ ذراعا و عرض نصف ذراع و قد ذراع واحد ، ثم نقل من الجهتين و عمل به ٤ فتحات ليجري عبرها الماء بهدوء من الجهتين .

٣- جدد بناء جدار لرد السيل عن القناة برأس الوبر بطول ١٥ ذراعا و عرض نصف ذراع و قد ذراع واحد^(٢٣٧).

٤- جدد بناء جدار لرد السيل عن مقسم بركة المصري بالمعلاة بطول ٤ ذراع و قد ذراعين و عرض نصف ذراع ثم نقل من الجهتين^{٢٣٨}.

٥- جدد بناء جدار لرد السيل عن حوض الكسار بطول ٥ أذرع و عرض ذراع واحد و قد نصف الذراع و نقل جميع ذلك ثم عمل على ظهر السد طبطاب^{٢٣٩}

إنشاء مجاري لتصريف المياه و صيانتها :

و نظرا لما وقع فيه المسجد الحرام سابقا من إعتراضه لمجرى السيل و الذي أدى بدوره إلى دفع خلفاء المسلمين إلى وضع الحلول لمنع أضرار السيول عن المسجد الحرام ، و تمثل ذلك في أمور كثيرة . كان من بينها إنشاء مجار خاصة في شمال غرب المسجد الحرام لاستدراج مياه السيول ونقلها بعيدا إلى الجنوب حيث يمكن الاستفادة بها في أمور أخرى كالزراعة ،

^{٢٣٧}أيوب صبري : مرجع سابق ، ج ٥-٧ ، ص ٧٥٣

^{٢٣٨}الوثيقة السابقة ، ص ٤

^{٢٣٩}الوثيقة السابقة ، ص ١٣، ١٠.

ولنفس الغرض اعتنى العثمانيون بهذه المجاري إنشاءً وتجديداً، وصيانةً ، إضافة إلى محاولة تخفيض أرض مجرى السيل حول المسجد الحرام ، لمنع دخول الماء من الأبواب و أنشأوا شبكة لتصريف المياه المستعملة وربطوها بمجاري تصريف مياه الأمطار .

فقد تم على يد الأمير خشقدي سنجق جدة من عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م إلى عام ٩٥١هـ / ١٥٤٤م عمل مجرى لتصريف مياه السيول و الأمطار^{٢٤٠}.

و في عهد السلطان مراد الثالث عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م تم توجيه السيل إلى مجراه الطبيعي بقطع الأتربة المتراكمة فيه ، عبر السنين من جهة باب إبراهيم في الجانب الجنوبي الغربي من المسجد الحرام و من جهة باب الزيارة في الجانب الشمالي الغربي و كان بسبب دخول السيل إلى المسجد الحرام من أبوابه عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م^{٢٤١} ، نظراً لارتفاع مستوى أرضية المجرى الطبيعي حتى غطى درج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي الغربي بالتراب . إذ لم يبق منها إلا ثلاثة درجات بعد أن كانت عشرة درجة ، وكانت تقطع الأرض و تحمل جميع مخلفات السيول من هذه الجهة إلى خارج البلد جهة المسفلة كل عشرة أعوام مرة . فغفل عن ذلك نحو ثلاثين عاماً إلى أن علت الأرض و دخلت السيول المسجد الحرام .

وقد قام بهذه الأعمال القاضي حسين المالكي و أحمد بك اللذان تم على يديهما إيصال قناة عين عرفة إلى مكة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م ، كما قام بتخفيض مستوى أرض المجرى . قدر عشر درجات من الدرج الذي كان يصعد منه إلى المسجد الحرام . مما أدى إلى مرور السيل في مجراه الطبيعي و انسيابه إلى المسفلة في يسر و سهولة و عدم دخوله المسجد الحرام^{٢٤٢}

كما تم عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م إعادة بناء سرب العنبة ، لاستدراج مياه السيول من الجهة الشمالية الغربية و نقلها إلى الجنوب الغربي لحماية المسجد الحرام ، ثم تسير المياه من هناك في مجرى السيل الطبيعي جهة المسفلة^{٢٤٣}.

^{٢٤٠} الوثيقة السابقة ، ص ٥.

^{٢٤١} عبدالقادر الجزيري : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٠٢

^{٢٤٢} قطب الدين الحنفي : مصدر سابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣ ، عبدالكريم القطبي : مصدر سابق ، ص ٨٢٨-٨٢٩ ، مؤلف مجهول : سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد ، ورقة ٦٤ : حسين باسلامة : مرجع سابق ص ٩٤-٩٠ ، فوزية حسين مطر : مرجع سابق ، ص ١٩٠

^{٢٤٣} قطب الدين الحنفي : مصدر سابق ص ٣٤٢-٣٤٣ ، عبدالكريم القطبي : مصدر سابق ، ص ١٢٨-١٢٩ ، علي الطبري : مصدر سابق ، ورقة ٥٧.

و في عام ٩٩٤هـ/١٥٨٥م ورد أمر من السلطان مراد الثالث بهدم بيوت و مدارس واقعة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الحرام ، لأنها كانت تضيق مجرى السيل و عمّر عوضاً عنها طواجن^{٢٤٤}، وجعلها مأوى للفقراء ، حتى لا يبيتون في المسجد الحرام^{٢٤٥}.

وفي عام ١٠١٩هـ/١٦١٠م عمل سليمان أعامير ياخور بأمر من السلطان محمد خان ، على زيادة درج أبواب المسجد الحرام من خارج حتى تمنع السيل من الدخول فيه ثم عمل في العام الذي يليه على تنظيف سرب العنبة ، بعد أن سدّه السيل بالأتربة^{٢٤٦}.

وفي عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م تم تنظيف سرب العنبة و تنظيف و إعادة بناء مخرج سيل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم^{٢٤٧}.

و في سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م أنشئ بأمر السلطان محمد خان مجرى لنقل مياه السيل إلى بركة ماجن^{٢٤٨}). وفي عامي ١١٢٤-١١٢٥هـ/١٧١٢-١٧١٣م عمل محمد بيك بن حسين باشا بأمر من السلطان أحمد خان أعمالاً عمارية متنوعة في مجاري تصريف مياه الأمطار جاءت على الوجه التالي :

١- في رجب عام ١١٢٤هـ/١٧١٢م تم تنظيف سرب بئر زمزم و ترميم فتحاته ليسهل نقل الماء المستعمل و الأوساخ إلى خارج المسجد الحرام و منه إلى المسفلة.

٢- تم تنظيف سرب باب الزيارة الكائن بحافة المسجد الحرام لمجرى السيول إلى آخره " بالمسفلة " وذلك بنقل الأوساخ من السرب إلى " ظاهرة " . ثم تنقل بعد ذلك إلى المسفلة .

٣- تم ترميم أبواب المسجد الحرام المستملة على فتحات لتصريف مياه الأمطار إلى السرب .

^{٢٤٤}قطب الدين الحنفي : المصد السابق، ص ص ٣٤٢-٣٤٣، الطبري : المصدر السابق ج١، ورقة ٢٥٤.

^{٢٤٥}يقصد بناء مغطى بقباب ضلعه

^{٢٤٦}عبدالكريم القطبي : المصدر السابق ص ١٣٠ ، علي السنجاري : مصدر سابق ، ج٢، ورقة ١٢٥، الطبري: المصدر السابق ج ١ ، ورقة ٢٧١ ، فوزية حسين مطر : مرجع سابق ص ١٩١.

^{٢٤٧}محمد طاهر الكردي : مرجع سابق ، ج٢، ص ٢٠٦.

^{٢٤٨}البكري : محمد بن علي بن بلال الصديقي ، أبناء الجليل المؤيد مراد خانبيناء بيت الوهاب الجواد مخطوط مصور بالميكوفلم ، من دار الكتب الظاهرية برقم ١٨٤٢م مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي ، ورقة ٥٢، ٥١، ٩.

٤- تم تنظيف فتحة سرب باب إبراهيم ، كي يسهل تصريف المياه إلى خارج المسجد الحرام من مجرى السيل .

٥- تم تعمير فتحات سرب لتصريف المياه بمقام الحنبلي ومقام المالكي و بالمطاف .

٦- تم تنظيف بالوعات المطاف الشريف ، وبالوعات المسجد الحرام .

٧- تم تجديد بناء آخر يُسَرَّب تصريف مياه الأمطار بالمسفله ، والذي تهدم بعض أجزائه بسبب السيول فجدد بناء حلق باب السرب ثم نقل من الداخل و الخارج .

٨- تم وضع مجاديل و تنقيط بناء فتحات السرب في كل من باب القطبي و باب الباسطيه و باب بني عتيق و باب العمرة^{٢٤٩} .

و في عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م تم إصلاح و تكملة بناء سرب العنبة (سرب باب الزيارة) مجرى السيول ، بحيث يؤمن عدم عودة النجاسات و الأوساخ منه إلى المسجد الحرام و المطاف^{٢٥٠} وذلك بتقسيم المناطق المراد إصلاحها و إعمارها إلى خمسة أجزاء .

عناية العثمانيين بالموارد المائية للزراعة :

استفاد العثمانيون من فائض مياه العيون الواصلة إلى مكة المشرفة ، و من إنشاء السدود ، في إنشاء مناطق للرعي و بساتين زراعية يعود إنتاجها لمصلحة سكان هذا البلد الأمين والوافدين إليه من كل فج عميق . هذا فضلاً عن أنه تم في عهدهم إنشاء بساتين اعتمد بعضها على ماء المطر بينما اعتمد بعضها الآخر في توفير المياه على حفر الآبار .

وقد وصف لنا بعض الرحالة و المؤرخين مواقع بعض هذه البساتين و طريقة إمدادها بالماء . إلا أنهم غفلوا ذكر أسماء بعض الأشخاص اللذين قاموا بإنشائها^{٢٥١} و على ضوء ما وصل إلينا من معلومات عن جهود العثمانيين في إنشاء البساتين وما يتصل بها من منشآت مائية يمكن عرض الموضوع بإيجاز كما يلي :

^{٢٤٩} إبراهيم رفعت : مصدر سابق ، ج١، ص٢٢١، ٢٠٠، محمد طاهر الكردي ، مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٠١ .

^{٢٥٠} الوثيقة السابقة ، ص ٢١ .

^{٢٥١} وثيقة رقم ٦١٧٦ بأرشفة رئاسة الوزراء العثماني باستانبول ، ص ص ٢٠١ .

ففي سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م عمرت بركة ببستان بأرض حسان تنسب لأمير مكة محمد بن بركات^{٢٥٢}، كما جدد قاضي مكة محمد بن محمود بن كمال الرومي . بستاناً بالمعلاه ، كان ينسب لناظر الحرم بيرم خجا .

وكانت أعمال التجديد باسم الخاصكيه والدة السلاطين و عمل لسواقي هذا البستان مصروفاً يؤخذ كل عام من ديوان الذخيرة السلطانية^{٢٥٣})، و قبل إعادة بناء مسجد الجن عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م على يد إبراهيم بك سنجق جدة ، كان قد غرس في موضعه بعض الناس أشجاراً من نيق و ريحان و جعلوه بستانا ، بسبب اندسار موضعه من كثرة السيول التي أتت عليه و من تطاول السنين، و يمكننا التعرف على بعض مزارع مكة التي كانت تعتمد في ريعها على مياه الأمطار ، من وثيقة خاصة ببيع مزرعة بوادي المغمس ورد بها ما نصه:

" هذه حجة شرعية صادرة من محكمة مكة المكرمة ، مضمونها هو أنه لما توفي الشريف علي الشهير بهنديه في العام الثاني و الأربعين بعد الثلاثمائة و الألف و كان من جملة ما هو مشهود به و هو معروف بملكيته بالشراء الشرعي .. كامل البلاد و الأرض الحرث المزروع العثري الكائنة بوادي المغمس "٢٥٤).

وهكذا نجد جهود العثمانيين و اهتمامهم بتوفير المياه في كل من مكة المكرمة ، و المشاعر المقدسة و ذلك لأهميتها لأهل مكة خاصة و الحجيج عامة ، فضلاً عن عنايتهم بالعيون و قنواتها ، و الإشراف على المنشآت المائية و البرك و الصهاريج و الأسبله و البازانات و الخزرات و الحمامات و حنفيات المياه .

و لم تتوقف خدماتهم عند هذا الحد ، بل امتدت لتشمل إضافة إلى ما سبق إنشاء السدود و مجاري المياه لحماية الحرم الشريف من عوادي السيول .

كما عمل العثمانيون على الاستفادة من فائض قنوات العيون الواصلة إلى مكة المكرمة و من إنشاء السدود في إقامة مناطق للرعي ، و بساتين يعتمد بعضها على مياه الأمطار فيما يعتمد بعضها الآخر على الاستفادة من مياه الآبار التي حفرها .^{٢٥٥}

^{٢٥٢}النبلسي : عبد الغنى بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز؛ تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٦م، ص ٤٥٧ ،، محمد أمين المكي : مرجع سابق ، ص ٧٠ .

^{٢٥٣}ابن فهد : أبو محمد بن عبدالعزيز ت ٩٥٤ هـ . حسن القرى في أودية أم القرى . مخطوط بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ١٠٧٠، ورقة ٢٥

^{٢٥٤}عبدالقادر الجزيري : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٧٣٧

^{٢٥٥}أنظر، حجه شرعية صدرت من محكمة مكة المكرمة عدد (٢٤٣) وتاريخ ٢٠/١٠/١٣٤٣ هـ .